الجمهوريـة الجزائـريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـم العالـي والبحـث العلمـي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

صورة الذات و الآخر في اعتذاريات النابغة الذبياني

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالب(ة):
- لبنى سالم
- فاطمة الزهرة نابتي

إشراف الأستاذ:
عمار قرايري

السنة الجامعية: **2015/2014**

بسم الله الرحمن الرحيم

الدعاء

سألتك ربي يا سامع الدعاء، و رافع السماء و دائم البقـــاء، و واسع العطاء، و من ..... في اسمه دواء و في ذكـــره شفاء و طاعته هناء ..... أن ترفع عنا كل بلاء، و تدفع عنا كل شقاء ..... و أن تحيينا حياة السعداء ..... و أن تكتب لنـــا من كل داء شفاء و أن ترزقنـــا عيش الكرمـــاء ..... و أن تحمينـــا من غدر السفهاء ..... و أن تحشرنا مع الصديقين و الأنبيـــاء.

إهداء

- أهدي هذا العمل المتواضع إلى أبي و أمي اللذين أنارا حياتي نورا و ضياءا، و قدما الغالي و النفيس لأجل تقدمي و نجاحي حفظهما الله لي، فما أكبرهما و أعظمهما في نفسي.
- إلى إخوتي هبة فؤادي أسامة و عزالدين و شيماء.
- إلى صديقتي و فلذة الكبد لبنى، جعل الله بيني و بينها من ود موصولا أبد الظهر، عرفتك صديقة لا ينوب صداقتها زيف من شوائب الدنيا.
- إلى من وقف بجانبي و ساعدني و شد من أزري و قواني.

فاطمـة الزهرة

إهداء

أهدي ثمرة جهدي و سهر ليالي إلى من قال الله تعالى عنهما :

﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانا ﴾ أبي و أمي.

- أهدي هذا العمل إلى ينبوع الصبر و الحنان، إلى من علمتني الصمود في الحياة و سهرت من أجلي ، أمي الغالية، سائلة المولى عز و جل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتها.
- أهدي هذا العمل إلى من أعطاني اسمه في الدنيا، و إلى من قدم الغالي و النفيس من أجل تقدمي و نجاحي، أبي العزيز.
- إلى شموع حياتي التي تنير دربي أينما وجدت، لمين، سفيان، عبد الرؤوف، أنيس و عصام فأنا لا شيء بدونهم كأنني جسد من دون روح.
- إلى أختي التي لم تلدها أمي و صديقة عمري فاطمة الزهراء نابتي.
- إلى صديقتي اللتين وقفتا معي جنبا إلى جنب خولة و بسمة.
- إلى ابنة خالي مريم الغالية التي ساعدتني في اتمام هذه المذكرة.
- إلى كل من ساندتني دعواته طوال فترة دراستي.
- إلى كل من ساعدني و لو بكلمة طيبة.
- إلى كل عائلة سالم أهدي هذا العمل.

لبنى

شكر و تقدير

عرفانا منا بالفضل أنا وزميلتي نتقدم بالشكر الجزيل للطالب يوسف لطرش الفاضل على مساعدته فكان لنا نعم المرشد في اختيار الموضوع وأشكر له حسن تعاونه وجميل رأيه، كما نتوجه بالشكر الجزيل وعظيم الامتنان لأستاذنا ومشرفنا الدكتور الفاضل عمار قرايري ، الذي أعطانا من وقته وجهده الكثير، والذي لولا الله وعونه وجميل صبره لما خرج هذا البحث على صورته هذه، ولقد صبر وتحمل من أجلنا الكثير ولم يبخل علينا بمعلومة أو مشورة أو رأي ،ولا ننسى أن نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ محمد زلاقي رئيس قسم الآداب واللغات الذي منحنا فرصة في التقدم في درجات العلم ، وإلى أساتذتنا الأفاضل في قسم الأدب العربي ، ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى جامعة عبد الحفيظ بوالصوف ومكتبتها التي أسعفتنا بكل ما احتجنا إليه خلال فترة البحث، وإلى كل من ساعدنا في هذا البحث ولو بكلمة طيبة.

فبارك الله في الجميع وسدد خطاهم لكل خير

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه المنتجبين إلى قيام ساعة يوم الدين .....

أما بعد :

تتشكل العلاقة بين الأنا والآخر جلية قائمة في الحياة ، فليس هناك (أنا) من دون (آخر) ، وليس هناك آخر من دون أنا، فالإنسان بطبيعته كائن اجتماعي لا يمكنه أن يحيا دون الآخر لذلك جاءت هذه الدراسة لتقف على أبعاد تلك العلاقة من خلال التعايش مع مرحلة مهمة من تأريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، وبخاصة المعلقات العشر التي تعد قمة ما بلغته القصيدة العربية من كمال ونضج ، إذ تملكتنا الرغبة الملحة في الوقوف على طبيعة تلك العلاقة .

وخاصة أن الدراسات الحديثة أخذت على عاتقها في الآونة الأخيرة الاهتمام بدراسة (الآخر) لما له من صلة بالذات الإنسانية وعلاقتها بمحيطها .

وفيما يخص منهج البحث الذي يتناسب مع هذه الدراسة وهو منهج تحليلي يقوم على استلهام النص الشعري بوصفه قاعدة رئيسية مع الاهتمام بظروف مبدع النص والمؤثرات الخارجية لأجل إدراك النص بشكل واسع وإن كان البحث لم يقف عند حدود هذا المنهج ، إذ أفاد من معطيات المناهج الأخرى ، إذ حاولت الباحثان أن تجعلا الدراسة منفتحة على بقية المناهج الأخرى ، ولاسيما المنهج النفسي فضلا عن المنهج التاريخي الذي أضاء كثيرا من الجوانب المحيطة بالنص ، ولا شك أن هناك صعوبات واجهت البحث رأينا أنها تواجه كل من يتصدى لدراسة النص الشعري الجاهلي منها : اختلاف رواية بعض الأبيات الشعرية إذ عمدنا إلى تتبعها في شروح المعلقة والديوان المعتمد المحقق علميا ، وقد اعتمدنا على الأسلوب التحليلي كمنهج للدراسة ، فكيف نعيد قراءة النصوص قراءة واعية من أجل استنطاق الصور وإيحاءاتها وتحليلها وتوجيهها نحو الظروف الذاتية الشعورية والأحوال النفسية و الاجتماعية.

وقد توزعت الدراسة على فصلين يتقدمهما مدخل ، وفيه حاولنا الوقوف على مفهوم الأنا والآخر لغة واصطلاحا و والوقوف عند الآخر في القرآن ، وكذلك بيان العلاقة بينهما كما قدمنا لمحة تاريخية عن النابغة الذبياني واعتذاره.

وجاء الفصل الأول بعنوان صورة الذات في اعتذاريات النابغة الذبياني بوصفها أقرب شيء إلى نفس الإنسان ومنها تبدأ انطلاقته في التعامل مع الآخر .

وقد توزع الفصل على ثلاثة مباحث ، الأول بعنوان الأنا الحائرة تتضمن حيرة النابغة الذبياني وتألمه من التهم التي ألقيت على عاتقه ، أما المبحث الثاني فجاء بعنوان الذات الخائفة وكان الحديث فيها عن خوف النابغة من جبروت الملك النعمان ومن التهديد والوعيد الذي يتوعده به ، والمبحث الثالث فعنوانه الذات الأمل ويتحدث عن أمل النابغة في الرجوع إلى قصر الملك (النعمان) وطلب العفو منه والتمتع بما طاب له في القصر .

أما الفصل الثاني فقد عقدناه لدراسة الآخر في اعتذاريات النابغة الذبياني وتوزع على أربعة مباحث ، فالأول يتضمن الآخر عمرو بن الحارث الغساني والثاني يتحدث عن الحاجب عصام بن شهير ، والثالث يتضمن المتجردة زوجة النعمان والرابع عن الملك النعمان بن المنذر .

أما الخاتمة فقد تضمنت خلاصة ما توصلنا إليه من نتائج وتبقى هذه الدراسة مجرد محاولة متواضعة للبحث في الشعر الجاهلي ، نتمنى أن نكون قد وقفنا فيما أقدمنا عليه بقدر ما بدلنا من جهد والله الموفق .

وفي الأخير نتقدم بالشكر الجزيل من الدكتور الفاضل عمار قرايري الذي تفضل وتكرم بالإشراف على رسالتنا الذي أفادنا بتوجيهاته القيمة وخبرته الواسعة الذي لم يبخل علينا بمعلوماته في إنجاز هذه المذكرة وإلى كل من ساعدنا في إتمام هذه الرسالة .

والحمد لله في أولها وفي آخرها والصلاة والسلام على محمد الأمين وآله الطيبين .

مدخل : مفاهيم اصطلاحية

أولا : مفهوم الصورة.

ثانيا : مفهوم الذات.

ثالثا : مفهوم الآخر.

رابعا : الاعتذاريات.

خامسا : لمحة تاريخية عن حياة النابغة الذبياني.

أولا- مفهوم الصورة

لا تكاد المعجمات العربية تفتقر إلى التعريف المحدد أو الكافي للمدلول اللغوي للفظة صورة على الرغم من ورود بعض الإشارات إلى ذلك من كتب البلاغة .

أ ــ لغة :

جاء في لسان العرب لابن منظور مادة ص. و. ر الصورة في الشكل والجمع صور وقد صورة فتصور وتصورت الشيء توهمت صورته فتصور لي والتصاوير و التماثيل قال ابن الأثير : ترد الصورة في لسان العرب لغتهم على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته وعلى معنى صفته يقال صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته وصورة كذا وكذا أي صفه [1]

وقد ذكر الزمخشري في أساس البلاغة : مادة ص. و. ر من دون أن يتوسع في دلالتها إذ يقول صور فتصور وتصورت الشيء ولا أتصور ما تقول ومن المحال هو يصور معرفته إلى الناس [2]

ووردت في تاج العروس : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها وعلى معنى حقيقة الشيء وهيأته

وعلى معنى صفته وأن الصورة ضربان ضرب محسوس يدركه الخاصة

و العامة و الثاني معقول يدركه الخاصة دون العامة [3]

وقد جاءت الإشارة إلى الضربين في القرآن الكريم في قوله تعالى: "ولقد خلقناكم ثم صورناكم "[4] وقال أيضا : " وصوركم فأحسن صوركم " [5]

(1)- لسان العرب : ابن منظور ، دار لسان العرب ، بيروت ، مادة ص . و . ر ، ط2 ، ص 294
(2)- أساس البلاغة : الزمخشري ، مادة ص . و . ر ، ص 364.
(3)- تاج العروس : مادة ص. و .ر.
(4)- سورة الأعراف : الآية 11.
(5)- سورة التغابن : الآية 03 .

ب- إصطلاحا :

لقد كان أقدم ما ورد ليشير لى مفهوم الصورة ما ذكره الجاحظ متحدثا عن الشعر المعاني المطروحة فإن الشعر صناعة و ضرب من النسيج وحبس من التصوير [1] وهو يشير إلى القدرة على التصوير وبراءة الشاعر وخياله في رسم صوره وتفرده فالصور عنده شبح جمالي متقن تشترك في بنائه مهارة الشاعر وشاعريته المتميزة ويقول قدامى بن جعفر في الصورة عندما تحدث عن الشعر قائلا : " المعاني للشعر بمنزلة المادة الموضوعية والشعر فيها كالصورة : [2] أي أنها الإيطار الخارجي العام لشكل الشعر .

ويظهر عند القاهر الجرجاني واضح نظرية النظم في البلاغة العربية ليعطي مفهومها ويقرب الجاحظ للتصوير وقدامى في فهمه للمعاني مادة للشعر فيقول سبيل الشيء الذي يقع التصوير والصوغ فيه كالفضة والذهب يضاع منها خاتم أو سوارة [3]

أي أن التصوير والصياغة سبيلا الكلام الفني وأن المعنى مادة الصورة بين الشاعر وآخر يعود إلى شاعريته وما يتمتع به من مهارة مثل صانع السوارة والخاتم من ذهب أو من فضة تكون الصورة الأمثل والأجمل [4]

والمصطلح الذي استقرت عليه الصورة في النقد العربي هو التفاعل المتبادل بين الفكرة و الرؤية والحواس الإنسانية الأخرى ومن خلال قدرة الشاعر في التعبير عن ذلك التفاعل بلغة شعرية مسند إلى طاقة اللغة الانفعالية بمجازاتها واستماراتها وتشبيهاتها في خلق الاستجابة والإحساس بذلك التفاعل عند المتلقي سواء كانت الاستجابة حسية بصرية أو معنوية تجريدية [5].

ولهذا فتحديد ما هي الصورة تحديدا دقيقا من الصعوبة لأن الفنون بطبيعتها تكره القيود ولعل هذا هو السر في تعدد مفاهيم الصورة وتباينها بين النقاد فأضحى للصورة مفهومان :
المفهوم القديم : لا يتعدى حدود التشبيه والمجاز والكناية
المفهوم الجديد : يضيف إلى الصورة البلاغية الصورة الذهنية والصورة الرمزية بالإضافة إلى الأسطورة كما لها من علاقة بالتصوير

(1)- الحيوان : الجاحظ ، جزء 3 ، ص 131
(2)- نقد الشعر : قدامى بن جعفر ص 64. 65
(3)- دلائل الإعجاز : عبد القاهر الجرجاني ص 388 -389
(4)-مستقبل الشعر وقضايا نقدية ص116
(5)- مستقبل الشعر وقضايا نقدية ص118

ثانيا- الذات :

كثيرا ما نجد في شعرنا القديم ، صورا ترسم مشهدا أو موقفا نفسيا ، سواء كان وصفا مباشرا أو صورا رامزة مشحونة بتجارب الشاعر المليئة بمشاعر الحنين والغربة والوحدة والتي يكون فيها الذات محورا رئيسيا لتقوم عليها شخصيته ومن خلالها تشكيل الصورة عل هذا المخزون اللاشعوري .

أ- لغة:

تكاد معاجم اللغة العربية القديمة و الحديثة تتفق على أن مصطلح الذات . يعني به الحال وبيان الحال وحقيقته " معناه صاحب .... و " اتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله " [الأنفال الآية : 1] أي حقيقة وصلكم. أو ذات البين : الحال التي به يجتمع المسلمون " [1]

فالذات جاءت بمعنى الحقيقة وبيان الحال وقد تأتي النفس أيضا بمعنى الذات " .... فقد علمته . تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علم الغيوب " [المائدة 116] أي في ما عندي وعندك أو حقيقتي وحقيقتك [2].

والذات بمعنى النفس أيضا في المعجم الوسيط " الذات : النفس والشخص يقال في الأدب : نقد ذاتي : يرجع إلى أراء الشخص وانفعالاته. [3]

والذات في لسان العرب : " فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" ....

قال أبو إسحاق : معنى ذات بينكم حقيقة وصلكم أي اتقوا الله وكونوا مجتمعين على أمر الله ورسوله ... والأنثى ذات و التثنية ذوات واجمع دون [4]

ومن خلال المعاجم السابقة نبين أن مصطلح الذات كان على قسمين :

أولا : بيان الحال والحقيقة (الحقيقة الطاهرة) .

ثانيا : السريرة المضمرة وهذه (حقيقة داخلية) .

---

(1) _ القاموس المحيط ، الفيروز أبادي : الطبعة الأولى 2004 م 1425 هـ دار الكتب العلمية _ بيروت _ لبنان _ مادة ذات ص 1356 .

(2) _ المرجع السابق، مادة نفس، ص 601 .

(3) معجم الوسيط : قام بإخراجه إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار ، الطبعة الثانية ، دار الدعوة اسطنبول ، تركيا مادة ذات ص 308 .

(4) _ لسان العرب :لابن منظور أعد بناءه على الحرف الأول يوسف خياط ونديم مرعشلي _ دار لسان العرب _ بيروت _ المجلد الأول مادة ذات ص 1049 _1050 .

ثانيا - اصطلاحا :

الذات مصطلح نفسي تداوله علماء النفس في كثير من المؤلفات والدراسات والنظريات النفسية ومنها دراسات نفسية مثل : موسوعة علم النفس للمؤلف ندق ، في طبيعة الإنسان د:عبد السلام عبد الغفار.

دراسات نفسية أدبية مثل : التحليل النفسي والأدب لجان بلامان نويل ، والتفسير النفسي للأدب د:عزالدين إسماعيل دراسات نفسية إسلامية مثل : الشخصية السوية : سيد عبد الحميد مرسي .

ومن خلال تلك المؤلفات وغيرها الدور الكبير في التحليل الأدبي والنفسي للشعر والشعراء " فقد أصبح شريكا للأديب في تفكيك الأثر والصور البيانية والحقل المعجمي " [1].

ومفهوم الذات أنها :

1 _ التنظيم المنسق والدينامي لصفات الفرد الجسمية و العقلية والأخلاقية و الاجتماعية . حسب تجلبها للآخرين في مجال الأخذ والعطاء داخل الحياة الاجتماعية [2]

2 _ ويرى محمد عماد الدين إسماعيل أن مفهوم الذات هو ذلك المفهوم الذي يكونه الفرد عن نفسه باعتباره كائن بيولوجيا اجتماعيا . أي باعتباره مصدرا للتأثير والتأثر بالنسبة للآخر [3] .

3 _ هي فكرة الشخص عن نفسه ، وهي نظرة الشخص إلى نفسه باعتباره مصدرا لفعل [4] .

---

(1) _ التحليل النفسي والأدب : _ جان بلامان نويل الطبعة الأولى _ 1996 م _ منشورات عويدات _ بيروت _ لبنان ص 129 .

(2)_ موسوعة علم النفس ، إعداد د.أسعد رزق مراجعة _ د.عبد الله عبد الدايم المؤسسة العربية للدراسات والنشر _ بيروت _ الطبعة الثالثة 1678 م ص 147 .

(3)_ سيكولوجية العلاقة بين مفهوم الذات والاتجاهات د. عبد الفتاح محمد دويدار _ دار المعرفة الجامعية _ الطبعة 1999 م ص 39.

(4)_ التكيف النفسي : مصطفى فهمي _ مكتبة مصر دار الطباعة الحديثة ص 111

ثالثا- مفهوم الآخر:

أ- لغة :

جاء في لسان العرب : الآخر بمعنى غير قولك : رجل آخر وأصله أفعل من التأخر ، فلما اجتمعت همزتان في حرف واحد استثقلت فأبدلت الثانية ألفا لسكونها وانفتاح الأولى قبلها : قال الأخفش : " لو جعلت في الشعر آخر لا يحقق أحد همزة الآخر ولو كان تحقيقا حسنا لكن التحقيق حقيقيا بأن يسمع فيها وإذا كان بدلا البنية وجب أن يجري على ما أجرته عليه العرب من مراعاة لفظه وتنزيل الهمزة منزلة الألف الزائدة التي لاحظ فيها الهمزة نحو العالم ، وابر ألا تراهم لما كسروا قالوا آخر وأواخر كما قالوا جابر و جوابر ، وتصغير آخر أويخر " [1]

ب- في القرآن الكريم :

وردت لفظة الآخر بفتح الخاء في القرآن الكريم في خمسة عشرة مناسبة بصيغة المفرد نحو قوله تعالى : " لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموما مخذولا " [2] وقوله أيضا : " وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه "[3]. ووردت بصيغة الجمع في اثنين وعشرين مناسبة منها خمس مرات مرفوعة والباقي في حال نصب والجر [4]

نحو قوله تعالى : " إن هذا إلا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون " [5] و قوله أيضا : " ثم أغرقنا الآخرين " [6]

---

(1)لسان العرب : لابن منظور, مادة أ. خ . ر ص 78
(2) سورة الإسراء الآية "22"
(3) سورة يوسف الآية "41" وسورة المائدة الآية "27"
(4) الآخر في القرآن : غالب حسن ص 19- 20
(5)سورة الفرقان الآية "4" وسورة النمل الآية "20"
(6) سورة الصافات الآية "82" ، ينظر سورة الجمعة الآية "3" ، سورة النساء الآية "91-133" ، سورة المائدة الآية "4" ، سورة الأنعام الآية "6 -133"

ج- اصطلاحا

* في المنظور الفلسفي :

[لا شك أن الإنسان بطبيعته كان اجتماعي لا يمكنه العيش بمفرده دون أن يتواصل مع الآخرين ، إذ أن قطب الآن لا يستطيع العيش إلا في علاقته بقطب الغير ..... ويقرر هيدجو أن الوجود بدون الآخرين هو نفسه صورة الوجود مع الآخرين بمعنى أن الشعور الفردي لا ينطوي على أي انفصال عن عالم الغير.....]

وكما أن ليس ثمة ذات بدون العالم فإنه ليس ثمة ذات بدون الغير [1]

[فالعلاقة مع الآخر ضرورة من ضروريات الوجود ويمكن للمرء من خلال الآخر أن يكتشف نفسه ويقف على قدراته ، إذ يقول سارتعر " الآخرون هم أساس الأهم فينا كي نتعرف على ذاتنا " [2]]

ويقول أيضا : (.....أنا محتاج إلى الآخر لأكون ما أنا عليه .....) [3] ، فالآخر حسب المنظور السارتري الوجودي .إن وعي الوجودي يتأسس تحت تحديق الآخر [4] في حين يرى فوكو : إن الآخر " متعلق بالذات تعلقا لا فكاك منه شأنه في ذلك ارتباط الحياة بالموت " [5]

إن وجود الآخر يقتضي وجود الأنا إزاءه ، إذ أن الشرط الرئيسي الذي لا بد منه لكي يوجد آخر حتى ولو يكن الشرط الوحيد هو وجود الأنا [6].

---

(1) مشكلة الإنسان : الدكتور زكريا إبراهيم ص 153

(2) الآخر حسب سارتر : وظاهرية ميرلو بونتي : عبد الله عازار مجلة الفكر العربي المعاصر ، العدد 86- 87 باريس 1991 ص 106

(3)-المصدر نفسه ص 108

(4) – دليل الناقد الأدبي : د : أميجان الرويلي : د : سعد البازي ص 21- 22

(5) – ينظر المصدر نفسه ص 22

(6) – تمثيلات الأنا والآخر في رواية ظل الشمس : طالب الرافعي فصول 2010 ص 192

***في المنظور النفسي :**

لا يشترط في الآخر أن يكون الغير المختلف عن اثنيا أو عرقيا بل يمكن أن تكون الذات هي منشطرة على نفسها آخر بالنسبة لنا إذ يستطيع المرء أن يكتشفها ويتعرف غليها شيئا فشيئا [1]

فالآخر حقيقة موجودة في داخل كل منا ..... يملأ الوجود هو مائل في البصر والبصيرة ، مائل في السماع والاستماع ، مائل في الداخل والخارج مائل في الحقيقة والحلم [2].

ويرى جاك لاكان أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر . فالطفل حين يرى صورا في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذه بنوع من الأنا ، ولكن تدريجيا يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة لذات ..... وتتحول الصورة إلى علاقة للأنا وهذه هي مرحلة نظام الرمز : " الصورة في المرآة رمزا وعلاقة أدال يشير إلى الأنا " [3].

وتعدد معنى الآخر عنده فقد يدخل طرفا في علاقة مع الذات ، ويعد المصطلح أداة للربط بين العالم الخارجي للشخص وعالمه مع الآخرين [4].

أما الآخر هو الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي متحرك يتحدد بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات التي ليس من صفاتها الثبات [5].
وهو الكلية المزدوجة للكينونة الذاتية .....وهو يتداخل وتمر أي في سلسلة غير منتهية تبدأ من أدق الانشطارات الذاتية في علاقة الذات بالذات . عبر زمن شديد المنالة ولا تنتهي إلا بانتهاء الوجود الشرعي في الزمان والمكان [6]

(1) – ينظر صورة الآخر : في شعر المتنبي : نقد ثقافي : محمد الخبار ص 43
(2)- الآخر في القرآن ص 38
(3) – دليل الناقد الأدبي ص 231
(4) – مشكلة الإنسان : د : زكريا إبراهيم ص 153
(5) – صورة الآخر في الثراث العربي : د : ماجدة حمود ص 9
(6) - تمثيلات الآخر ص 20.

من هنا يتضح لنا اختيار للفظة الآخر لأن الآخر يشمل الغير بأنواعه المختلفة فجاءت هذه الدراسة لتسليط الضوء على العلاقة بين أنا الشاعر الجاهلي في المعلقات العشر وعلاقته بالآخر الذي اخترعته أو اقترفته الأنا الشعرية ، ولعل ألافت للنظر أن هذه العلاقة تكاد تختلف من شاعر إلى آخر بحسب طبيعة التجربة التي يخوضها الشاعر ، وعلاقة الشاعر بالآخر (الممدوح) وهي غير علاقة بالآخر (المهجو) وكذلك علاقة الشاعر الواحد بالآخرين تختلف بحسب طبيعة ذلك الآخر ، لأن الآخر عامل من عوامل تشكيل الأنا ، إذ أن الوجود بدون الآخرين أن أمكن تحقيقه إنما هو ضرب المرض [1].

العقلي أو الانتحار الميتافيزيقي [2].

فالذات الإنسانية تدرك نفسها حين تتعامل مع الآخر إذ تتشكل ويعاد تشكيلها في المواجهة مع الآخر [3].

رابعا- الإعتذاريات:

ارتبط غرض الاعتذار في الشعر العربي القديم بشخصية النابغة الذبياني فاعتذارياته للنعمان بن المنذر يعدها أهل الأدب من عيون الشعر العربي ومن أجود ما نظمه القريحة العربية خلال العصر الجاهلي

فما هو الاعتذار وماذا نعرف عن سيرة النابغة الذبياني وشعره وما هو السياق الذي نظم فيه الشاعر هذه الاعتذاريات عموما .

أ- مفهوم الاعتذار :

***لغة :**

اعتذر : فعل ومن اعتذر إلي واعتذر عن ، اعتذر ، يعتذر ، اعتذارا فهو معتذر والمفعول معتذر إليه [4].

-اعتذر فلان صار ذا عذر

-اعتذر إليه طلب قبول معذرته ، واعتذر من ذنبه واعتذر عن فعله تنصل واحتج لنفسه.

(1)- ينظر : التحبيات الفنية لعلاقة الأنا بالآخر في الشعر العربي المعاصر ص 103-104
(2)- المصدر نفسه ص 103- 104
(3)- تمثيلات الآخر لصورة أسود في المتخيل العربي الوسيط د: نادر كاظم ص 20- 313
(4) معجم المعاني الجامع والمعجم الوسيط: مادة " عذر"

-اعتذر من فلان : شكاه
-اعتذر الرسم : أمحى
قدم اعتذاره أي الحجة التي تقدم لنفي ذنب أو تبريره .
اعتذر إليه : طلب منه أن يقبل عذره ، اعتذر من الذنب أو عنه ، أبدى عذره فقدمه ، اعتذر لصديقه تأسف له وطلب منه الصفح والسماح ورفع اللوم ، اعتذر لأمه قدم إليه اعتذارا رسميا [1]وهذا المعنى اللغوي يدلنا لا أن الاعتذار العفو عن الذنب المرتكب .

وجاء في لسان العرب لجمال الدين ابن منظور في مادة عذر العذر الحجة التي يعتذر بها و الجمع أعذار يقال اعتذر فلان[2] .

اعتذر وعذرة و معذرة من ذنبه فعذرته والاسم المعذرة ولي في هذا الأمر عذر وعذري ومعذرة أي الخروج عن الذنب.

*** اصطلاحا :**

الاعتذار من الناحية الاصطلاحية غرض شعري تقليدي عند العرب ، لم يكثروا من النظم في بابه ، شأنه من المدح وهو تداخل بين عاطفتي الخوف من جهة والشكر والرجاء من جهة أخرى [3].

ب- سياق الاعتذاريات:

اتصل النعمان بالنابغة بن المنذر ملك الحيرة ونشأت بينهما علاقة مميزة لكن الأمور انقلبت بين الرجلين فهدد الملك الشاعر بالقتل مما أجبر هذا الأخير على اللجوء لقصور الغساسنة والسؤال الذي طرح نفسه هنا ، ما الذي يكون قد حدث بين الملك والنابغة حتى انقلبت العلاقة بينهما .

---

(1)- المرجع نفسه . مادة (ع .ذ . ر)
(2)- جمال الدين ابن منظور : لسان العرب ، مج 4 ،مادة عذر ، دار صادر، بيروت .لبنان،ط.ت.د، ص 54
(3)- شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي ، دار المعارف القاهرة ، مصر ، ط22 .د.ت ، ص 211

تقول إحدى الروايات أن شاعرا من شعراء البلاط عملا هجاء في النعمان بن المنذر ونسوه للنابغة فلما سمع الملك هذا الهجاء غضب عليه وتوعده بالقتل فهرب الشاعر إلى الشام [1]

ونجد في الرواية الثانية أن المنخل اليشكري أحد شعراء النعمان فهو من سلط النعمان على النابغة فقد كانت المتجردة زوج الملك غاية في الحسن والجمال وبينهما وبين المنخل حب ومودة ، دخلت مجلسهم يوما وهي في قمة جمالها وروعتها وأنوثتها حتى بدت لزوجها امرأة جديدة لم يرها ولم يعرفها من قبل .فطلب من النابغة وهو أعز شعرائه ونذمائه . أن يصفها بأبيات شعرية وفي إثر هذه المناسبة نظم النابغة ذاليته الشهيرة التي صور فيها جسم المتجردة بكل أعضائها تصويرا دقيقا تخطى جانب المكشوف إلى المستور ، فلما سمع المنخل هذه القصيدة دس وشاية في عقل النعمان ادعى أن هذا الوصف الدقيق والشامل لا يقوله إلا شاعر رأي ما يصفه بعينه ، وهنا صدر حكم إلقاء القبض على النابغة [2].

خامسا- لمحة تاريخية عن حياة سيرة النابغة الذبياني :

*أصله و نسبه:

النابغة الذبياني هو زياد بن معاوية بن ضباب ، بن جابر ، بن بربوع ، بن غيظ، بن عوف ، بن سعد ، بن ذبيان بن بغيض [3].

*ميلاده :

لم تعرف كتب التراجم القديمة بتاريخ دقيق لميلاد النابغة أما المحدثون فاجتهاداتهم في التحقيق التاريخي اكتفت لمجرد التواصل أنه من مواليد القرن الخامس ميلادي [4].

(1)- علي بن حسين (أبو الفرج الأصفهاني) : الأغاني ، ترجمة إحسان عباس ، إبراهيم بكر عباس ، مج 11 ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ،2008 ، ص11

(2)- المرجع نفسه : مج 11 ، ص 12

(3)الحسين بن بشير : (أبو القاسم الأمدي) : المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وتناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1991 ، ص 252

(4) – عمر الدسوقي : النابغة الذبياني ، دار الفكر العربي ، د.م.د.ب ،ط4، 1966، ص 139

***لقبه وكنيته :**

يكنى النابغة بأبي أمامة و أبي ثمامة وهو اسم ابنتيه [1]

ويقول في أحد الأبيات مخاطبا أحدى ابنتيه .

كليني لهمٍ ، يا أميمةَ ، ناصبِ و ليلٍ أقاسيهِ ، بطيءِ الكواكبِ

أما لقب النابغة فقد اختلف فيه الروايات فمنهم من يقول أنه سبب نبوغه في الشعر وهو كبير متقدم في السن [2]. ومنهم من يقول أنه لقب بالنابغة لقوله: [3]

وحَلَّتْ في بَنِي القَيْنِ بنِ جَسْـرٍ فقدْ نَبَـغَتْ لنـــا مِنْـهُم شُـــؤُونُ

***أطوار حياته:**

أ- طور الشباب :

ضاعت معظم أخبار الشاعر في طور شبابه ولم يبق منها سوى قصة وقعت له مع امرأة تدعى ماوية ، كانت ابنة الملك غاية في الحسن والجمال فتقدم النابغة وحاتم الطائي ورجل يدعى النبيتي لخطبتها ، فطلبت المرأة أن يصعد كل واحد منهم على ظهر بعير ينشدها شعرا تختاره عل أساس هذا زوجا لها ، فصعد النبيتي على ظهر بعيره وأنشدها فل يعجبها قوله وصعد النابغة فقال : [4]

هَلا سَأَلْتِ بَنِي ذُبْيَانَ مَا حَسَبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ الْبَرَمَـا

إِنِّي أُسَامِحُ أَيْسَارِي وَأَمْنَحُهُـمْ مَثْنَى الأَيَادِي وَأَكْسُو الْجَفْنَةَ الأَدَمَا

وأَقْطَعُ الخَرْقَ بالخَرْقاءِ قد جعلَتْ بعدَ الكَلالِ تَشكّى الأيْنَ والسّأَمـــا

ثم صعد حاتم الطائي فأنشد هو الآخر وبعد سماعها لشعر الثلاثة اختارت المرأة حاتم زوجا لها [5]

(1)- يحيى بن علي : شرح قصائد العشر ، إدارة الطباعة ،المنبرية، د.م.ن ،ص307

(2)- عبد الله بن قتيبة : الشعر والشعراء ، تج وش، أحمد محمد شاكر ، ج1 ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ص 157

(3)- زياد بن معاوية : النابغة الذبياني ، ص 116 .

(4)- المصدر نفسه: ص 102.

-الأشمط البرم : من خالط بياض رأسه السواد / والبرم : التذمر

- أيساري : ما أملكه ، دلاله على الغنى/ الأدم : مما يأكله المرء

(5)- لويس شيخو : شعراء النصرانية قبل الإسلام ، منشورات دار المشرق ، بيروت ، لبنان ، ط4 ، 1991، ص 107

ومن الظاهر أنها اختارت من أحست بحبه لها في شعره فحاتم ظل يردد اسمها في مسهل كل بيت مبينا لها شوقه إليها وألمه من هجرة أما النابغة وهو الشاعر المعروف بفتور المشاعر اتجاه المرأة فقد انطلق أمامها مفتخرا بمكانته في قومه ، فلم تحس المرأة برغبته فيها مثلما أحست في أبيات حاتم الطائي وهذه القصة تظهر من جانب آخر سلطة الشعر وتمكنه من نفسه العربي في الجاهلية .

ب- طور الرحلة إلى الملوك :

تشير مصادر الأدب وديوان الشاعر أنه بلغ بلاط ملوك عصره من الغساسة والمناذرة ونال مكانته لم ينلها شاعر جاهلي قط ، أما الباحثون فقد اختلفت حول الوجهة التي قصدها الشاعر للمرة الأولى ويرى محمد زكي العشماوي أن النابغة اتصل في بادئ الأمر بالغساسة ويبث رأيه بأبيات من ديوانه وبتحقيقات تاريخية [1].

* وفاته :

اجتهد لويس شيخو في بحثه عن تاريخ وفاة النابغة الذبياني وتوصل أن ذلك كان في حدود 604 م ولهذا فالشاعر لم يشهد البعثة النبوية وظهور الإسلام[2].

(1)- محمد زكي العشماوي : النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية ، دار الشروق ، القاهرة ، مصر، ط 1.، 1994،ص17-22.

(2)- لويس شيخو : المرجع السابق ص 640.

الفـــــصـــــــــل الأول :

صورة
الذات في اعتذاريات النابغة الذبياني:

* المبحث الأول- الذات الحائرة.

* المبحث الثاني- الذات الخائفة.

* المبحث الثالث- الذات الأمل.

أولا- الذات الحائرة :

الاعتذار من الفنون التي لم تلقى من العناية القليل لدى الشعراء في عصر ما قبل الإسلام : " وهو يأتي لإظهار الندم عل فعل حدث أو حال وقعت ويريد المعتذر أن يبرئ نفسه لينجو من اللوم ، أو يحاول إصلاح الحال بتفسير أو شرح يرجع الأمور إلى مجراها العادي "[1]

ولعل ما يجمع بين المدح والاعتذار أن الاعتذار هنا قام على المدح ، ولابد للمعتذر أن يقدم المدح أولا وتأتي اعتذارية النابغة الذبياني بالآخر النعمان بعدما أوقع الوشاة بينهما ، فكانت الوشاية أن النعمان وفد على الغساسنة وهم أعداء الملك النعمان وما صنعه له من مديح [2] . مما أثار ذلك بغضب النعمان فأهدر دمه .

وإن كانت بعض الروايات تذهب إلى أن تصدع العلاقة التي وصف بها النابغة المتجردة زوج النعمان في ذاليته المشهورة[3] فثارت ثائرة النعمان فأهدر ذمه ، والملاحظ أن المشهد الشعري في مقطع المدح يحاول أن يرصد الوضع الإنساني للأنا وهي تواجه الآخر المتعالي بكل جبروته وسطوته ، فالدور الآخر يبدو متعاطفا حتى أنه ينشر ظلاله وقدرته على الأنا الشاعر وما حوله.

فالمعاني التي أوردها الشاعر في اعتذاريته التي يصف بها الآخر النعمان إنما هي معان موحية مطلقة يسمو ويتعالى على الآخرين " فالتاريخ يوفر للشاعر إيطارا عاما لذكر الوقائع فيوردها موهما أنها قد وقعت مثلما سردها تماما على النحو الذي يبدي البطل كائن خارقا للمألوف يأتي بالأعمال المذهلة ويصف بالصفات الخارقة فينتقل بذلك من الموجود إلى المنشود ، ويصبح مثلا "أعلى للأمة التي ينتمي إليها " [4] .

وذلك حين يقول النابغة مادحا للنعمان : [5]

ولا أرَى فاعِلاً في النَّاسِ يُشبِهُهُ ... ولا أُحاشِي مِن الأقْوَام مِن أحَدِ
إلاّ سُلَيمانَ إذ قالَ الإلهُ لَهُ ... قُمْ في البريَّةِ فاحْدُدْها عنِ الفَنَدِ
وخيِّسِ الجِنَّ إنّي قد أَذِنْتُ لهمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ
فمَنْ أطاعَكَ فانفَعْهُ بطاعتِهِ ... كما أطاعَكَ وادْلُلْهُ على الرَّشَدِ
ومَنْ عَصاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبَةً ... تَنْهَى الظَّلومَ ولا تَقعُدْ على ضَمَدِ
إلاّ لِمِثْلِكَ، أوْ مَنْ أنتَ سَابِقُهُ ... سبقَ الجوادِ إذا اسْتَولَى على الأمَدِ

(1) – تاريخ الأدب العربي : العصر الجاهلي، ص 272.
(2) – الأغاني : تحقيق محمد أفندي المغربي، ص7، ص 256.
(3)- ينظر: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني للهجرة، أحمد الشايب، ص 70، ص 72.
(4)- اللغة الشعرية : في ديوان أبي تمام ، ص 157
(5) – ديوان النابغة الذبياني : تحقيق وشرح حمدو وطماس ، ط 2 ، السنة 2005 ، دار المعارف ، بيـــروت ، لبنان ، ص 34
وخيس الجن : أي دللهم / تدمر : مدينة بالشام فيها بناء سليمان (ص) / العمد : أساطين الرخام / الضمد : الذل والغيض / الأمد : الغاية التي يجري إليها .

فالأنا تتوجه إلى استطان الآخر وترقب رد فعله بعد أن أطلق النعمان التهديد والوعيد فيقول الشاعر (لا أرى) حيث نجد أناه حاضرة من خلال ضمير المتكلم الذي يشير إلى وجهت نظر الشاعر في الآخر (الممدوح) فصوت الشاعر في (لا أرى) يجعل النص الشعري موزعا بين طرفي حديث الذات (لا أرى) ومراقبة الآخر (رد فعله المتمثلة في التهديد والوعيد) ، فالأنا كان لها أكثر الأثر في إضفاء صورة العظمة والسطوة على الآخر وتشكيل أنموذج للممدوح النعمان المتناهي عن سائر الأوصاف والتشبيهات ، فالشاعر هنا عديم الماهية لا نجد له سوى امتثاله وركوعه للأمراء الذي يعنى أن الخصوص في محاولتها هذا للذوبان في الكلية لإتباع تلك النقطة إلا عبر نفيها لذاتها، إذ أن معلقة النابغة ما هي إلا فردية فاقدة لإرادتها في خضوعها لسلطة الآخر دون قيد أو شرط ، فالشاعر ليس سوى فرد أمام آلة سالبة (سلطة الملك) بكل عنفوانها وجبروتها ، السلطة التي شقته عن ذاتها إلا أنها أبقته على صلة معها ، صلة الخضوع والضوخ لها .

فحديث الشاعر هو حديث الأنا المتأرجحة بالعاطفة الجريحة و هي تستشعر عظم الفردية التي فرض بها النابغة ، وهو منها يرى فصوته يمثل اعتذار الأبي الذي يأبى بنفسه عن الشبهات [1].

والأنا التي يقف وراءها الشاعر يجسد الإنسان الذي يسعى إن يعدل ما أصاب ذاته من تثلم بفعل هذه التهمة كي تعود له قيمته الإنسانية وفي المقابل نجد الآخر النعمان الذي تصدر أقواله عن إرادة قاهرة لها العذرة على فعل أي شيء .

لذا فاعتذار الشاعر كان الوسيلة الوحيدة الناجعة لامتصاص جبروت الآخر وغضبه ، إذا فالشاعر الجاهلي في محاولته بناء نموذج الإنسان الكامل ، الذي يستطيع أن يكون رمزا لمواجهة القهر الزماني والمكاني يعدم نموذج الإنسان القادر على فعل الشيء بفيضه [2].

لعل الالتفاتة الرائعة نلتمسها في تشبيهه (النعمان) بنبي الله سليمان الذي عرف بعدله وعلمه وحكمته فقد خصه الحق تعالى بآيات عدة منها قوله تعالى: " ففهمناها سليمان وكلا أثينا حكما وعلما وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين " [3].

(1)-القيم الإنسانية في الشعر الجاهلي : طه حسين ، عبد الرحمان ، مجلة آداب الرافدين ، عدد 7 ، السنة 1976، ص 486

(2)-الأدب الجاهلي : قضايا وفنون ونصوص ، د : حسن عبد الجليل يوسف ، ص 254.

(3)-سورة الأنبياء : الآية 79

وكأن الشاعر يريد من الآخر أن ينأى من الوشاة فلا يسمع لأقوالهم وأن تكون لديه صفة الثواب لمن يستحقه والعقاب للمذنب الذي تصدر عنه الإساءة ويواصل الشاعر مدحه للآخر رغبة منه في استرضاءه إذ يصبغ عليه كل الصفات التي تميزه عن غيره (إلا لمثلك) ، فلا أحد يمدح مثل مدحه فهو من يمدح الحسناء المتميزة عن أخريات كل العطايا والصفات ولعل روعة الأداء التعبيري مستشفها في قوله [1].

الواهِبُ المائَةَ المعْكاءَ زيَّنَها سَعْدانُ توضِحُ في أوْبارِها اللِّبَدِ
والأُدمُ قدْ خُيِّسَتْ فُتلاً مَرافِقُها مَشدودَةً برِحَالِ الحِيرةِ الجُدَدِ
والراكضَاتِ ذُيولَ الرَّيْطِ فَنَّقَها بَرْدُ الهَواجرِ كالغزلانِ بالجَرِدِ
والخيلَ تَمزَعُ غربًا في أعِنَّتِها كالطَّيرِ تَنجو من الشُّؤْبوبِ ذي البَرَدِ

فالشاعر حتى يذل على صفات الآخر وتفرده عن غيره أتى باسم الفاعل (الواهب) يجسد جوده المستمر دون توقف أو انقطاع فهو قد وجد في حمى الملك وفي نعيمه ما لم يستطيع أن يحرر نفسه منه [2].

فالنابغة يعبر عن نفسه بشكل مباشر دون جزئيات كثيرة يصعب عن المتلقي تتبعها أو يجهد نفسه فيها كي يستخلص الإحساس العام الذي يهدف إليه [3] مثل قوله : " خيل تمزع غربا في أعناتها. "

فهو يحيلنا على الطبيعة فالخيل في سرعتها كأنها سراب من الطير تفر من قطع السحاب المحملة بالمطر ولعل دقة هذه الألفاظ وجمالها يهدف من ورائها الشاعر إزالة الضن السيئ الذي ترسخ في دهن الآخر نحوه ثم يوظف القصة التاريخية والقصص الشائعة بين الناس قائلا : [4]

واحْكمْ كَحُكمِ فَتاةِ الحيِّ إذْ نَظَرتْ إلى حَمامِ شِراعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ
يَحفُّهُ جانبًا نيقٍ وتُتْبِعُهُ مِثلَ الزُّجاجَةِ لم تَكْحلْ من الرَّمَدِ
قالتْ ألا لَيْتَما هذا الحَمامُ لنا إلى حَمامَتِنا ونِصفُهُ فَقَدِ
فَحسَّبُوهُ فألْفَوْهُ كما حَسَبَتْ تِسعًا وتِسعينَ لم تَنقُصْ ولم تَزِدِ
فَكمَّلتْ مائةً فيها حَمامتُها وأسْرَعتْ حِسْبةً في ذلكَ العَدَدِ

(1)-ديوان النابغة الذبياني : تحقيق حمدو وطماس ، ط2، السنة 2005 ، دار المعارف ، بيروت ، لبنان ، ص 35
المعكاء : الإبل الغلاظ السمان الشداد / سعدان : نبت من أنجع ما ترعاه الإبل / توضح : موضع بالحمى / الأدم : البيض الإبل / خيست : أي دللت بالركوب / الراكضات : ذيول الربط يعني الجواري تركض بأرجلهن مأخر الربط / الريط : ملاحف البيض /فأنفقتها نعم عيشها تمزع : تشرع في سيرها / الشؤبوب : دفعة المطر وشدته
(2)-الشعر الجاهلي : مراحله واتجاهاته الفنية (دراسة نصية)، د: سيد حنفي حسين ، ص 231
(3)- المصدر السابق : ص 232
(4)- فتاة الحي : زرقاء اليمامة من بني جسيد من أهل اليمامة مضرب المثل في نظر وجودة النصر ، يقال زرقاء اليمامة لزرقة عينيها قالوا أنها كانت تبصر الشيء من مسيرة ثلاثة

ولعل الشاعر حتى يدفع عن نفسه التهمة ويتحرر من الخوف نراه يخاطب الآخر النعمان أن يكون حكمه حكم سيدنا سليمان نبي الله وحكم فتاة الحي (زرقاء اليمامة) حتى عرفت بقوة بصرها وحس تصريفها للأمور ، فهو يريد أن يقرر لممدوحه صفتي القوة والحكمة فاختار من تفاصيل القصتين ما يدعم توجهه ويمدح موقفه الموضوعي أرضية متماسكة في الإيماء والأداء [1].

فهو يرى أن النابغة بحاجة إلى عين ثاقبة مبصرة كعين تلك الفتاة كي يكون حكمه عادلا ثم يتخذ السياق الشعري اتجاها جديدا من خلال أسلوب القسم.

إذ يقول :

فـلا لَعَـمْرُ الـذي مَسَّحتُ كَـعبتَهُ وما هُـريقَ علـى الأنْـصابِ من جَسَدِ
والمؤمـنِ العائِـذاتِ الـطّيرَ تـمسَحُـها رُكْـبـانَ مـــكَّـةَ بـينَ الـغَـيْـلِ والسَّعَـدِ
ما إنْ أتـيـتُ بـشَـيءٍ أنـتَ تَـكـرَهُهُ إذًا فـلا رَفَـعَـتْ سَـوْطي إلـيَّ يَـــدِي

يتضح لنا من خلال هذا السياق الشعري أن الشاعر ينوع في أساليبه لاسترضاء الآخر من قسم (فالعمر الذي ....) إلى نفي (ما قلت ....) وإلى دعاء (فرفعت سوطي ....) وذلك لامتصاص غضب الملك وليدفع الشك ويرد التهمة وهي في الحقيقة تعكس إحساس الأنا بالخوف من وعيد الآخر وتهديده.

كما أن النابغة يصور حالته النفسية وما يعتريه من حركات وتموجات تدم عن تأزم داخلي وقلق يتصاعد في أعماقه ، وهو يواجه غضب الآخر ووعيده إذ يقول:[2]

أُنـبِـئْـتُ أنَّ أبـا قـابـوسَ أوْعَـدَني ولا قَـــرارَ عـلـى زَأْرٍ مـــنَ الأسَـــدِ
مَـهْـلاً فِداءٌ لك الأقـوام كُـلّـهُـمُ ومـــا أُثَـــمِّـــرُ مـن مـالٍ ومـنْ وَلَـدِ
لا تَـقْـذِفْـني بِـرُكْنٍ لا كَـفاءَ لـهُ وإنْ تَـــأثَّـــفَـــكَ الأعـداءُ بـالـــرَّفَـــدِ
فما الـفُراتُ إذا هَـبَّ الـرِّياحُ لهُ تَـرمي أواذيُّـهُ الـعـبْـرَيـنِ بـالـزَّبَـدِ
يَـــمُـدُّهُ كلُّ وادٍ مُـــتْـرَع لَـــجِـبٍ فيـهِ رِكـامٌ مـن الـيَـنْـبـوتِ والـخَـضَـدِ
يـظَلُّ مِن خَوفِـهِ المَلاَّحُ مُعتَصِمًا بـالـخَـيْـزرانَـــةِ بَـعـدَ الأيْـنِ والـنَّـجَـدِ

(1)- ينظر: قراءة جديدة لمعلقة النابغة ، د: شكري فيصل ، مجلة المعرفة السورية ، العدد 173، تمور 1973، ص 65.

(2)-ديوان: النابغة الذبياني ، تحقيق حمدو وطماس ، ط2 ، السنة 2005 ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 37

ثانيا- الذات الخائفة :

لقد كان خوف النابغة من النعمان وخشيته منه أكبر بروزا ، فلم يكن مجرد خوف إنسان من إنسان وإنما كان تجسيدا للخوف من المكان والزمان والمجتمع فالنابغة يعترف بصراحة بخشيته من النعمان وينفي أن تكون هذه الخشية عارا عليه فيقول : [1]

وعَيّرَتْني بَنُــو ذُبيــانَ خَشْيَتَــهُ، وهل عليّ بأنْ أخشاكَ مِنْ عَارِ؟

ويقول أيضا : [2]

وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِــهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي ساوَرَتني ضَئِيلَـــــةٌ مِنَ الرُقشِ في أَنيابِها السُمُّ ناقِعُ
يُسَهَّدُ، من لَيلِ التّمام، سَليمُـــها، لحلي النساءِ ، في يديهِ ، قعاقعُ
تناذرَهــا الرّاقُون مِنْ سُمّـــــها، تُطلّقُهُ طَورا، وطَوراً تُراجِـــعُ

إن استبطان الموقف الذي صدر عنه النابغة يظهر بوضوح هيمنة النعمان على نفسه ، مقترنة بالتداويات التي ترتبط بمظاهر الخوف الوجودي، والتي استخدمها في تشكيل نمودجه ، لقد كان النعمان قادرا على البطش به ، والوشاة كثيرون والشاعر أعلم الناس الرجل ومكائده ، ولهذا فإن الصورة التي تطفو من قاع الشعور هي صورة الحية التي تلدغ الإنسان ولكن الشاعر يستخدم قدرته ومهارته في تقديم هذه الصورة التي اقترنت في عقله الباطن بالممدوح تقديما لا يغضب النعمان.

فهو لم يقل له إنك حية سامة أو أنك تلدغ كما تلدغ الحية ، ولكنه شبه ما أصابه من غضبه بما يشبه لدغ الحية وهذا الارتباط بين الآخر والحية يتبدى في مظاهر أخرى.

---

(1)-ديوان: النابغة الذبياني ،تحقيق حمدو وطماس ، ط2، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص54

(2)-نفس المرجع : ص76

في غير كنهه: في غير حقيقته / راكس : اسم واد / الضواجع : الواحدة الضاجعة ، التلة ، مصب الوادي /ضئيلة : أفعى دقيقة اللحم ، الرقش الواحدة ، رقشاء من الحيان المنقطة بالسواد والبياض / قعاقع : فحيح /تراجع : تذهب وتعود /تناذرها :احترسو منها بحذر

فقد رأينا وصف النابغة له بأنه (السم خالطة البيرون) ومعرفة الناس بالنعمان تركب في أعماقه شعوره صورة لهذا الرجل فالشعور هو مبدع الصورة قبل أن يبدع النظر والتأمل ويتمحص خوف النابغة ورهبته من النعمان عن صفة لهذا الآخر فهي صفة المهيمن القادر فلا شيء يبتعد عنه ولا شيء يفلت منه إذ يقول النابغة : [1]

لا تَـقْـذِفْـنـي بِـرُكْـنٍ لا كَـفـاءَ لـهُ وإنْ تَـأَثَّــفَـكَ الأعداءُ بـالــرَّفَـدِ

ويقول أيضا : [2]

وأنتَ ربيعٌ يُنــعِشُ النّــاسَ سَيبُــهُ، وسيــفٌ، أُعِيَـرتْهُ المنيّــةُ، قاطِــعُ

ويقول : [3]

ألــمْ تــرَ أنّ اللهَ أعطــاكَ ســورةً ترى كــلّ مَـلْكٍ، دونَــها،يتذَبذَبُ
فإنكَ شمسٌ ، والملــوكُ كواكــبٌ إذا طلعتْ لم يبــدُ منهــنّ كوكبُ

إن النابغة ارتضى لنفسه تلك المنزلة أي منزلة الشاعر المهين الذي يخشى بطش السيد المهيمن ولا في خوفه من عار عليه على الرغم من لوم قومه له فهو كان خوف من عقابه وراء هذه الصورة التي قدمها لنفسه في شعره إما رغبة من النابغة في تعضيد السيد من السادات المؤهلين لجمع شمال العرب .

أم أن ما قيل عن علاقته بالمتجردة زوجة النعمان كان سببا في الإبقاء على العلاقة بينهما أم أن ما وجده في قصر النعمان من مظاهر الحضارة والترف قد استهواه وتملك عليه زمام نفسه، إن كل هذا أو بعضه قد يكون سببا وراء تلك الصورة التي مثل فيها النابغة نفسه خائفا مقهورا . وهذه الصورة الفريدة لرهبة إنسان من مالك بطاش ، كما نجده يبرأ مما نسب إليه ويلتمس من النعمان أن يسأل عن أمره بني ذبيان ‘ن كان قد ساء ظنه فيه وكان همه يتنصل

(1)- ديوان: النابغة الذبياني ، ص37
(2)- ديوان: النابغة الذبياني ، ص78
(3)- نفس المرجع : ص19-20
تأثفك : أحاطو بك كالأثافي / الرفد : العطاء ، أنت بمعنى المساعدة والمعونة
سيبه:كرمه وسخاؤه

من تهمته ، وحدهما يشد في إنكاره ويقسم الأقسام الكبيرة على البراءة منها وهي الكلام الذي نقله الوشاة إلى الملك وأضافوا إليه ، فألبسوه خيانة لو يقترفها حيث يقول : [1]

أتــاكَ بقَوْلٍ لم أكُــنْ لأقولَــهُ، و لو كبلتْ في ساعديّ الجوامعُ

والآخر لا يستطيع أن يطمسها وهي ذهابه عند الغساسنة أعداء المناذرة يمدحهم ويدك انتصاراتهم يوم حليمة حين قتلوا المنذر جد النعمان سنة 554م إذ يقول النعمان : [2]

تَوَرَّثْنَا مِنْ أَزْمانٍ يَوْمَ حَليمَةٍ إِلى اليَوْمِ قَدْ جُرِّبْنَ كُلَّ التَّجَارِبِ

وسمعنا الملك يعاتبه يقول : " ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدي وبيني وبينهم ما قد علمت."

فما على النابغة إلا أن يقر بذنبه ، ويعمل لتخفيف وإزالة ما وقر في نفس النعمان من الحقد عليه فصارحه بأن الغساسنة إخوان له يقربونه ويحكمونه في أموالهم فلا يعد مذنبا إذا مدحهم كما أن الذين قربهم أبو قابوس وأكثر لهم العطاء لم يذنبو إذ مدحه ، وهذه الصراحة لا مهرب للشاعر منها ولكنه تمكن بفطنته وذكائه أن يلطف وقعها في نفس النعمان .

فجعل الملوك دونه منزلة وفضيلة وهم كواكب تغيب أنوارها حين تطلع شمس النعمان بن المنذر .

وإذا حاول الاعتذار شرع في تهديل الخطب وعظم ما يقاسيه في الليل خصوصا من الخوف والرعب لغضب الملك عليه ، فيصور نفسه قلق المضجع لا يقر قراره يبيت على الشوك مرة وتواثبه الأفاعي أخرى حتى ضرب المثل بلياليه فقيل للخائف المذعور : "بات بليلة نابغة "ويأخذ في تكذيب الوشاة مؤكدا براءته والأقسام والدعاء على نفسه وعلى أولاده إذ صح ما اتهموه به من الغدر والخيانة ويتخلل ذلك في مبالغة مدح النعمان وتعظيم سلطانه

(1)-ديوان: النابغة الذبياني ، ص 77
الجوامع : الأغلال ،مفردها جامعة / كبلت :وضعت في يدي وقيدتني .
(2)- المرجع نفسه : ص15
تورثن : الضمير يعود على سيوف الغساسنة /يوم حليمة : يوم من الأيام العربية المشهورة في العصر الجاهلي .

وامتداد سطوه مظهرا خشوعه وعبوديته ونزوله على حكمه راجيا منه العفو والرضا والرجوع إلى نعمته .إذ يقول :[1]

فإنْ أكُ مظلوماً ؛ فعبدٌ ظلمتهُ وإنْ تكُ ذا عُتَبى ؛ فمثلُكَ يُعتِبُ

ولا يخفى ما في هذا الأسلوب من براعة الاسترضاء وفهم لعقلية الملوك العتاه وكيف تكون المخاطبات في القصور ، مع أن النابغة لم ينشأ عليها في قبيلته ولم يسمعها من أبناء قومه ، ولكنه تثقف بها في مخالطته بطائن الأمراء ، فتعلم منهم كيف يخاطبون ويستعطفون ولاة الأمور .

ثالثا- الذات الأمل :

عمد النابغة الذبياني إلى حسن في التلطيف محاولا أن يزيل من نفس النابغة ظنه السيئ فيه وقد استعان بموهبته في اختراع الصور والمعاني والتدفيق فيها وقد أسعفه في ذلك. دوقه الحضري الذي خلصه من خشونة البدو ومن الأنفة الجامحة فإن ذنبه يكبر في نفسه وإذا هو يحس كأنه أتى جريمة لا تغتفر فما بنى يقدم للنعمان بن المنذر الغادير متخذا إليه كل ما يستطيع من براهين ومن سبل التلطف والملاينة وقد يؤديه ذلك إلى غير قليل من التذلل والاسترحام حفاظا على صداقته القديمة له و الاستفتاء بوده وهو حست التأتي لإصغار النفس لا مهانة ولا طلبا لعصافير النعمان.

انتهى إلى تبيان الكرم الفياض وما وهبه من قطعان الإبل والخيل ومن الجواري المنعمات.

(1)-ديوان: النابغة الذبياني ، ص20
العتبى: الرضا ، يعتب يعطي العتبة ويترك ما غضب لأجله ، أي مثلك يعفو ويصفح .

قائلا :[1]

فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحتُ كَعبتَهُ وما هُريقَ على الأنْصابِ من جَسَدِ
والمؤمنِ العائِذاتِ الطّيرَ تمسَحُها رُكْبانَ مكَّةَ بينَ الغَيْلِ والسَّعَدِ
ما إنْ أتيتُ بشَيءٍ أنتَ تَكْرهُهُ إذًا فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ يَدِي
إلاّ مقالَةَ أقوامٍ شَقيتُ بها كانَتْ مقالَتُهُمْ قَرْعًا على الكَبِدِ

كما يرى النابغة في وعيد النعمان له حية تساوره ، وسما يكاد يتجرعه ويعلن أنه ما كان ليسيئ إلى النعمان ولو قيدوه بالأغلال وغلوه بالسلاسل وأن وعيد هذا الملك ومنه بمثابة الكي يكوى به السليم الصحيح ويتجاوز به المريض الأحزان فيجتمع على السليم شدة الإحساس بالألم ومعاناة الشعور بالظلم ويرى أن الدنيا –على رحباتها – قد ذاقت به وأن سلطان النعمان – مع ما فيه من حماية الذبيان وترحيب بني غسان – ليل يدركه وخطاطيف تجذبه.

ومن ذلك يقول : [2]

فإنّكَ كاللّيلِ الذي هو مُدْرِكي، وإنْ خِلْتُ أنّ المُنتأى عنك واسِعُ
خطاطيفُ حجنٌ في حبالٍ متينةٍ ، تمدّ بها أيدٍ إليكَ نوازعُ
أتوعدُ عبداً لم يخنكَ أمانةً ، و تتركُ عبداً ظالماً ، وهوَ ظالعُ ؟
وأنتَ ربيعٌ يُنعِشُ النّاسَ سَيبُهُ، وسيفٌ، أُعِيَرتْهُ المنيّةُ، قاطِعُ
أبى اللهُ إلاّ عدلهُ ووفاءهُ ، فلا النكرُ معروفٌ ولا العرفُ ضائعُ

يصور النابغة للنعمان قرعه حين أتاه يلومه ويحلف له بإيمانه الوثنية بأنه بريء مما نسب إليه متنصلا مما سمع عنه من بعض الوشاة إذ يتخيل النعمان كالليل ، لا مفر لشخص منه من أن يطبق عليه ، ويستعطفه وصور قصائده التي يرسلها إليه ليلين قلبه عليه كأنها خطاطيف معوجة ثبتت في جبال متينة ، وأيدي النابغة تمد بها إليه تريد أن تظفر بعطفه ورضاه ، ويصور له أمانته وأنه لا يخون عهده بينما من يختانون يقر بهم ويرعاهم ويختم بمدحه والثناء عليه ، فهو غيث منعش لأوليائه وسيف مسلط على أعدائه وقد برأه الله لرعية عادلا وافيا ، لا يلقي المنكر بالمعروف ولا المعروف بالمنكر

(1)-ديوان: النابغة الذبياني ، ص 36
مسحت : لمسة التمس البركة / هريق : سال / الحسد : الدم اللازق / الأنصاب : الحجارة التي كانوا يذبحون عليها قرابينهم للآلهة / المؤمن : الذي أمنها من الخوف / العائدات : اللاجئات إلى الحرم / الركبان : يريد أنها نسبح عليها ولا تهيجها بصيد الفيلة والسعدة / أجمتان : بين مكة ومنى / القرع : الضرب

(2)-ديوان: النابغة الذبياني ،ص 78
المتنائ: المكان النائي البعيد / الخطاطيف : جمع خفاش وهو مثل العقو الذي فيه بكرة ، إلى أنه من حديد والعقو من الخشب /الحجن: جمع أحجن وهو المعوج / المتينة : شديدة القوة / النوازع : الجواذب/ ضالع : مائل عن الحق ويروى ضالع أنه الجائر المذنب / ربيع : الغيث السيب : العطاء / ينعش : يجير ويرفع

، يجزي على الإساءة إساءة و على الإحسان إحسان وينتهي بتمثيل ما هو فيه من نعيم فهو يشرب في كأس مفصصة مزج ما فيه بالمسك والطيب .

ويبدو أن صيغة القسم قد عمد عليها النابغة من أجل أن يرد صيغة التقرب بينه وبين النعمان في قوله [1]:

فلا لَعَمْرُ الذي مَسَّحتُ كَعبتَهُ وما هُريقَ على الأنْصابِ من جَسَدِ
والمؤمنِ العائِذاتِ الطّيرَ تمسَحُها رُكْبانَ مكَّةَ بينَ الغَيْلِ والسَّعَدِ
ما إنْ أتيتُ بشَيءٍ أنتَ تَكْرهُهُ إذًا فلا رَفَعَتْ سَوْطي إليَّ يَدِي
إلاّ مقالةَ أقوامٍ شَقيتُ بها كانَتْ مقالَتُهُمْ قَرْعًا على الكَبدِ

ففي أسلوبه القسمي على هذا النحو المكرر لا يخفي حرصه على الأناة والرؤية والتجويد الفني التي يتبدى خاصة في تلك الصورة الأخيرة في المقابلة النفسية العائد الذي لا يجد الأمن إلا من عند النعمان وخاصة حين بلغه لوم النعمان بمريض قد أخذته آلام المرض وأهله ينسبون له فراش رحمة به وعطفا عليه ويحلف له بأنه بريء مما اتهمه به الوشاة إذ لا يزال يرعى أمانة عهده وكل ما هناك أنه ألم بديار الغساسنة فأكرموه وحكموه في أموالهم فوجب عليه أن يشكر لهم يدهم وصنيعهم كما يشكر النعمان من يرعاهم من الشعراء ويغدق عليهم من نواله وهو بذلك يقيم الحجة على النعمان فليس هناك كفران لنعمته عليه ولا جحود لولائه و يلبث أن ترفعه عن جميع الملوك من الغساسنة وغير الغساسنة فهو كالشمس الساطعة وغيره من الملوك كالنجوم يتوارون في ضيائه ومجده .

حيث يقول :

فإنكَ شمسٌ ، والملوكُ كواكبٌ إذا طلعتْ لم يبدُ منهنّ كوكبُ
فلا تتركني بالوعيدِ ، كأنني إلى النّاسِ مَطليٌّ به القارُ، أجْرَبُ
ألمْ ترَ أنّ اللهَ أعطاكَ سورةً ترى كلّ مَلْكٍ، دونَها، يتذبذبُ

وهي صورة باهرة لا شك أنها تركت أثرا بالغا في نفس النعمان وقد تلاها باستعطافه فصور له ما أصابه عليه من غضب بالقار يصيب على الأجرب ، فيتحاماه الناس فيعود إلى بيان منزلته – النعمان – وأن غيره من الملوك لا يرتقون إلى مكانته بل يضطربون دون سمائه ويقول له : "هب أن مديحي للغساسنة هفوة وعفوا عني ، فإن لكل شخص هفوة وأين الأخ الذي لا يهفو ولا يعثر ؟ ومثلك جرى بأن لا يظلم أصفياءه ومن يخلصون له الوفاء إن ظلمتي قبلت ظلمتك ، وإن أسدلت عن عفوك ورضاك فليس غريبا منك ، فمثلك يعتب ويصفح الصفح الجميل ".

(1)- ديوان: النابغة الذبياني، ص 37.
القار : القطران وكانوا يداوون به الإبل الجربى / الوعيد : التهديد / سورة : المنزلة ، المكانة ، الشرف / يتذبذب : يضطرب وينغلق .

الفـــــصـــــل الثـــــــــــانـي: صورة الآخر في اعتذاريات النابغة الذبياني :

*المبحث الأول : الآخر عمرو بن الحارث الغساني .

* المبحث الثاني : الآخر الحاجب عصام بن شهير .

* المبحث الثالث : المتجردة زوج النعمان .

* المبحث الرابع : الملك النعمان بن المنذر .

أولا : الآخر عمرو بن الحارث الغساني :

كان النابغة أثيرا عند النعمان فدخل على زوجته المتجردة فوصفها ، ويروى أنه هرب من النعمان بعد أن توعده وهدده فأتى قومه ثم شخص إلى ملوك غسان بالشام وصار النابغة ونزل بعمرو بن الحارث الأصغر بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر وأخوه النعمان بن الحارث الغساني وأعجب النابغة بقوة الغساسنة ومهارتهم الحربية وأظهر هذا الإعجاب ومدح فيها عمرو بن الحارث الغساني وهي واحدة من الصور المدحية التي عرف بها النابغة وعرفت عنه وقد صاغ فيها من عناصر اللوحة الفنية ما يجعل أساسها ذات طابع حربي في شخص ممدوحه الحارث الغساني وهو على عادت شعراء المدح وواحد المؤسسين له على سبيل الاحتراف والتكسب .

بدأ البائية باك يشكو فيه أميمة طول ليله الذي لم يعد يشق إلا عن تلك المعاناة وذلك الألم والهم الذي تكاثر عليه والذي ضاق به وكأن الأمل قد انقطع إزاء ذلك الليل الذي لم يعد يدرك له نهاية .

ثم ينتهي الحديث من هذا الحديث الوجداني الذي يسقط من خلال همومه وآلامه لينطلق إلى ممدوحه معترفا بفضله ونعمته عليه ، مؤكدا هذا الاعتراف بصيغ قسمية يصل بها بين حديث الاعتراف وحديث المدح الحربي الذي يؤصل فيه لسيب ممدوحه ويصور سيادته في قومه مما يترتب عليه ثقته المطلقة في الانتصار على أعدائه وهو انتصار لا يأتي له إلا بقوة جيشه من حبد يتمتعون بأصالة الانتماء مما يشد حبالهم إلى ممدوحه .

ثم تلك الخيول العربية التي لا يشك أحد في أصالته وصفوة نسبها ثم السيوف والرماح التي دقت صنعتها بل كأنها لم تكن إلا لهؤلاء القوم فقط وهي ليست جديدة عليهم بقدر ما بدت عريقة النسب بنفس الصورة التي يضيفها عليهم النابغة ، وقد أثرت عراقة نسبها في صلابتها وقوتها وهي موروثة عبر أيام طوال لم تشهد في تلك السيوف عيبا واحدا إلا ذلك التكسر الذي ينم عن شيء واحد هو كثرة الكاثرة فمن أصيب بها من أعداء الممدوح وحسبها هذا التكسر أصالة ورمزا لقوتها وقوة الممدوح على السواء .

يقول النابغة: [1]

كليني لهم ، يا أميمةَ ، ناصبِ ، و ليـلٍ أقاسيـهِ ، بطـيءِ الكواكبِ
تطاولَ حتى قلتُ ليسَ بمنقضٍ ، و ليسَ الذي يرعى النجـومَ بآيـبِ
و صدرٍ أراحَ الليلُ عازبَ همهِ ، تضاعَفَ فيه الحزْنُ من كـلّ جانبِ
عليَّ لعمرو نعمـةٌ ، بعد نعمـةٍ لـوالِـدِه، ليست بـذاتِ عَقـارِبِ

يقول أيضا : [2]

وللحارثِ الجَفْنيّ، سيّدِ قومِـهِ، لَيَـلْتَمِـسَـنْ بالجَـيْـشِ دارَ المُحـارِبِ
و ثقتُ له النصرِ ، إذ قيـلَ قد غزتْ كتائبُ منْ غسانَ،غيرُ أشـائبِ
بنو عمه دنيا ، وعمرو بنُ عامرٍ، أولئِـكَ قـومٌ، بأسُـهُم غيـرُ كـاذبِ
يُصاحِبْنَهُمْ، حتى يُغِرْنَ مُغارَهم مِنَ الضّـاريـاتِ، بالدّمـاءِ، الـدّوارِبِ
تراهنّ خلفَ القوْمِ خُزْراً عُيُونُها، جُلـوسَ الشّيـوخِ في ثيـابِ المـرانـِبِ
جوَانِـحَ، قـد أيْقَـنّ أنّ قَبيلَـهُ، إذا مـا التـقـى الجمعـانِ ، أولُ غـالبِ

بدأ النابغة مدحه بالجزء الذاتي المعروف في صدارته لهذا الموضوع من موضوعات الشعر وهو يحكي فيه ألمه وأحزانه شاكيا ما كثر عليه من هموم زاد ثقلها مع إقبال الليل عليه ويعبر من خلال الصورة عن معاناته .

الأمر الذي عرف عن النابغة في مقدمات مدائحه واعتذارياته التي تناغمت مع حالته النفسية إلى حد بعيد دفعته إلى تكرارها ولذا رسم الشاعر صورة متعددة الأجزاء لتلك الأحزان والهموم وأن جمعها في إطار واحد بحكمه ذلك الليل الرهيب الذي يعيشه في أبيات التقديم الثلاثة والتي يخلص منها فجأة وبل تمهيد إلى المدح ليبدأ موضوعه بصياغة اعترافه بطاقة شكر يذكر فيها فضل ممدوحه بشكل صريح ومباشر ثم يؤصل لذلك الفضل الذي يجعله موروثا لدى الابن من قبل آبائه وأجداده كما يؤصل نسب الممدوح من ناحية وبين طبيعة العطاء ومميزاته من ناحية أخرى فهو ابن أسرة معروفة بكثرة عطاياها التي لم يصحبها من ولا أداء يخدش حياء السائلين ولذلك يحاول النابغة تأكيد صورة الكرم من خلال أسلـوب القسم الـذي ينتـهي منـه إلى إقناعنـا بحسن ظنه بممدوحـه ودويـه جميعـا ،

(1) – ديوان: النابغة الذبياني ، ص13
كليني له : أي دعيني أو اتركيني وهمي / ناصب : دو نصب وتعب ، فهو متعب ومرهق
بطئ الكواكب : يصور الليل كأن كواكبه لا تغيب ولا تسير / منقض: منتهي / يرعى النجوم : قصد الصبح ، يشبهه براعي الإبل التي يحثها على السير / تطاول : زاد في طوله نتيجة الحزن والمكابرة.
أراح : أرجح ورد / عازب : شارد ، بعيد والعازب الذي يسيب في المراعي بعيدا عن أهله
ليس بذات عقارب : أي ليس فيه مكروه ولا يذكرها من ولا أدنى .
(2) - ديوان: النابغة الذبياني ،ص40
الحارث الجفني : والد الممدوح شبه إلى آل جفنة وهم الغساسنة / دار المحارب : دار الخصم الذي يحاربه / أشايب : الأخلاط الذين لا يجمعهم النسب أو صلة قرابة / دنيا : أراه الأدنين في النسب وهم الأقربون عمرو بن عامر من الأرد وهم أقارب الغساسنة .

وإن حسن الظن هذا كان دافعه الوحيد إلى تأكيد القسم وهو موقف طريق في هذا الباب "المدح" ، بعده يعود الشاعر إلى تأصيل النسب الممدوح مفصلا في ذلك حين يعرض مكانة أجداده آبائه ليسرد بذلك ما يضفه عليه من صفات جاعلا من تلك الصفات حقا له ، كما كانت حقا لأسرته من قبل شجعان وكلهم كرماء ، فمن الطبيعي إذا أن يكون ممدوحه واحدا منهم تبرز في شخصه كل تلك الصفات متجمعة ، ولذلك يؤكد الشاعر ثقته في نصر هذا الممدوح بل يمد الثقة إلى كل من دمت إليه بصلة القربى.

ثم يرسم الشاعر مشهدا طريفا لتلك الطيور الجوارح وهي تحرص على تتبع جيوش الممدوح لتأكل من جثث قتلاه فيوسع من إطار الصورة حين يوردها في أبيات يعتمد فيها على عنصر التشخيص وفيها تبرز كثرة المشاهد الحركية تشر تلك الجوارح في جماعات متلاحقة إذ يقول : [1]

إذا ما غزوا بالجيشِ ، حلقَ فوقهمْ عَصائبُ طَيرٍ، تَهتَدي بعَصـــائبِ
يُصاحِبْنَهُمْ، حتى يُغِرْنَ مُغــارَهم مِنَ الضّارياتِ، بالدّماءِ، الدّوارِبِ
تراهنّ خلفَ القوْم خُزْراً عُيُونُـها، جُلوسَ الشّيوخ في ثيابِ المـرانِبِ
جوَانِحَ، قد أيْقَـــنّ أنّ قَبيـــلَهُ، إذا ما التقى الجمعانِ ، أولُ غالبِ

حيث أنها تغير مع الممدوح على الأعداء وهي تدقق فيه واثقة بأنه سينتصر عليهم وهو يستعمل صورة الطير في الامتداد باللوحة الفنية التي يرسمها لشجاعة الجيش ذلك المشهد الذي أضاف في عرضه حيث اتخذ من الطيور أداة للانتقال إلى وصف ميدان المعركة وتناول دور الخيل فيها فقد تأكد ت للطيور تلك العادة إذ ما اشتد وطيس الحرب من قبل الجيش الممدوح تلك الجيوش التي تخرج للطعن والقتال على الخيول من قبل الجيش الممدوح تلك الجيوش عرفت بجودتها وعفتها في القتال ومجالداتهـا في الميـــدان دون أن

(1) - ديوان: النابغة الذبياني، ص 14.
عصائب: ج. عصابة و هي جماعة / تهتدي بعصائب: أي تتبع بعضها بعض و يهتدي بعضها ببعض/
الضاريات : المتعودات لكثرة مصاحبتها للجيش / الدوارب : المتعودات المتداربات / خزارا عيونها : أي بمآخر أعينها / جلوس الشيوخ: شبه النسور في ضخامتها و سوادها و ما عليها من ريش بشيوخ عليهم أكسية
المرانب : ثياب سود يقول لها المرنبانية، تشبه ثياب النسور و قيل أكسية من جلود الأرانب، ج. مرنبي و هو ثوب لونه كلون الأرنب/ جوانح : مائلات للوقوع على القتلى في المعركة.

تتخاذل مهما أصابها من جروح ولعله يشير إلى شجاعة الفرسان من أصحاب تلك الخيول حيث يقول : [1]

يطيرُ فضاضـاً بينها كلُّ قونــسٍ، ويتبَعُها مِنهُـمْ فَراشُ الحـــواجِبِ
ولا عَيبَ فيهِـمْ غيرَ أنّ سُيُـوفَهُـمْ، بهنّ فلولٌ منْ قــراع الكتـائـــبِ
تورثنَ منْ أزمانِ يوم حليـــمةٍ، إلى اليوم قد جربنَ كلَّ التجـاربِ
تَقُدّ السَّلُوقيَّ المُضاعَفَ نَسْجُــهُ، وتُوقِدُ بالصُّفّـاح نـارَ الحُبـــاحِبِ
محلتهمْ ذاتُ الإلـــهِ ، ودينهــمْ، قويمٌ ، فما يرجونَ غيرَ العـواقـبِ
رِقاقُ النعالِ ، طيبٌ حجزاتهـمْ، يُحيَوّنْ بالريحــانِ يومَ السَّبَـــاسِبِ
تُحَيّيهم بيضُ الولائِـدِ بينـــَهُـــم وأكسِية الأضريجَ فوق المشـاجِبِ

يحقق الشاعر في هذه الأبيات التي أوقف فيها الصورة عند أولئك الفرسان حين يضطرون إلى النزول للحرب تاركين خيولهم خضوعا منهم من متطلبات الموقف القتالي وهم وقتئذ يسرعون إلى الموت بلا خوف أو حذر كأنهم تلك الجمال المصاعب في شدتها وعفتها وقوتها في السير عبر أجواء الصحراء المفزعة .

يبين بعدها حقيقة موقفهم حين يسجل معرفتهم بحقيقة ما سيواجهونه من موت فهم يتقدمون على حتوفهم ويواجهونه من موت فهم يتقدمون من إلى القتال دون أن يهابون القتالية وخاصة منها تلك السيوف القواطع بما عرف من مضائها ثم يستطرد من ينتقل من دائرة التعميم إلى التخصيص في تصوير مشهد القتال فيحدق بعد سنة في مشهد السيوف التي اشتهرت بحدتها ومشهد القوم وقدرتهم على الضرب بها وهي تطير وتطيح بجماجمهم وعماماتهم تتناثر الرؤوس حتى تنفصل عن الأبدان في سرعة مذهلة ، وهنا ينتهي الشاعر الصورة بذلك المشهد الطريف الذي ينطلق فيه بالمدح من خلال ما ينسبه الذم إذ يسجل أن العيب الوحيد لهؤلاء أن سيوفهم قد انكسرت مضاربها من كثرة ما ضرب بها

(1) – ديوان: النابغة الذبياني ، ص 15

قونس ك أعلى ناحية / الفضاض : هي القطع المتفرقة / الفراش : هو العظام الرقاق تلي الخياشم ونسبها غلى الحواجب لقربها منها وفراش الحواجب المراد فراش الجمجمة وهي العظام الرقيقة التي تكون في أسفل الجمجمة / فلول : الكسور والتلثم في حد السيف / القراع : المجالدة والمضاربة بالسيوف / حليمة : وهي بنت الحارث بن أبي شمر بن غسان

تعد سلوقي : أي هذه السيوف الدروع وكل شيء حتى تغير إلى الحجارة فتوري فمنها أن تقدح النار والسلوقي درع منسوبة إلى السلوق وهي مدينة بالروم / محلتهم : مسكنهم / ذات الإله : يعني البيت المقدس ، وناحية الشام هي المقدسة ومنازل الأنبياء عليهم السلام / رقاق النعال : يريد أنهم ملوك ليسوا بأصحاب مشي ولا تعب فيطارقوا أنعالهم / طيب حجزاتهم : أي إعفاء الفروج /السباسب : عيد من أعياد النصارى / تحييهم بيض الولائد: أي أنهم ملوك نعمة تخدمهم البيض الإمام الحسان / الإضريح : الخز الأحمر فوق المشاحب أي ثيابهم مصونة .

ومن كثرة ما خاض أصحابها من معارك ، يسجل لهم شجاعتهم وجرأتهم في القتال ، فهي سيوف لها نفس الأصالة وهي معروفة بدقة نسبها إذ عاشت مع القوم منذ حروبهم القديمة وشهدت أيامهم التاريخية المشهورة منذ تلك الواقعة المعروفة " بيوم حليمة " .

فقصيدته تدخل في باب المدح وهي من حيث شكلها الفني تسير في نفس التيار السائد بين الشعراء في هذا الاتجاه ، ونلتزم التقاليد الفنية إذ يقول النابغة وهو الشاعر المكتسب المحترف بمقدمة تبدو شديدة الارتباط بتجارب خاصة له مع ممدوحه حتى انتهى إلى تضخيم شأن ممدحه وتعظيمه وراح يسخر كل صورة حتى تخدم هذا الهدف ، فلما يأتي بمشهد الطير أو بمشهد السيوف والخيل إلا من أجل خدمة ذلك الموقف المدحي ، كما يلاحظ أنه اتسع بصورته المدحية حيث تعالى من ذلك الإطار الفردي لممدوحه إلى الإطار القبلي العام الذي تجاوزه وضمه مع أسرته حتى صور ضخامة الجيش وما يضمه من حبد تجمعهم القربى والأصالة والنسب ولم يتسع في هذه الصورة إلا لخدمة موضوعه فهو يهدف في النهاية إلى تعظيم ذلك النسب وبيان أصالته حتى أصبح لوحة تقليدية من بعده في هذا الباب من أبواب الشعر .

فهو يعالج نمطا خاصا من فن المدح ، يصح أن نسميه مدحا حربيا ، صحيح أن النابغة بدأ الموضوع بالاعتراف ولكنه لم يطل فيه كما أطال بعد ذلك في عرض صور الشجاعة والكرم وتأصيل نسب الممدوح .

ثانيا : الآخر الحاجب عصام بن شهير :

رغم محاولات النابغة أن يبرئ نفسه من تهمة الخيانة إلا أنه لم يؤمن بالعودة إلى صديقه النعمان بن المنذر إلا حين أبلغوه أنه عليل يعاني سكرات الموت عند ذلك نفد صبر النابغة فشد الرحال عائدا إليه ، فوجده بين الحياة والموت ينقلونه محمولا من مكان إلى آخر

فخاطب عصام بن شهير حاجب النعمان والذي كان له فضل إخباره بوشاية اليشكري التي أوغر بها صدر النعمان عليه بأبيات عبر فيها عن مدى حبه وإخلاصه للنعمان .

قال النابغة : [1]

ألـــم أُقْســمْ عليــكَ لَتُخْبِرَنِّـــي أَمَحْمُـولٌ علــى النَّعـشِ الهُمَـــامُ
فـإنِّـــي لا أُلامُ على دخــولٍ ولكـــنْ ما وارءَكَ يا عِصـــامُ
فـإنْ يَهْـلِكْ أبـو قابـوسَ يَهْـلِكْ ربيـــعُ النَّاسِ والشَّهرُ الحَـــرَامُ
ونُمْسُـــكُ بعـدهُ بـذُنَابِ عـيشٍ أجَـــبِّ الظَّهْـــرِ ليسَ لهُ سنَـــامُ

(1)- ديوان: النابغة الذبياني ، ص108
أبو قابوس : كنية النعمان / ربيع الناس : كناية عن العطاء لأن الربيع يخصب ويعطي
أحب الظهر : أي لا سنام لديه / دناب الشيء: طرفه ونهايته

وهو هنا يقول لعصام ، أنا ألومك في منعي من الدخول إلى النعمان ولكن كان عليك أن تخبرني أنه مريض ، فالنعمان هو كالربيع الخصب للناس والشهر الحرام لجاره.

قال أبو عبدة :" كان ملوك العرب إذا مرض أحدهم حملته الرجال على أكتافها يتعاقبون فيكون كذلك على أكتاف الرجال لأنه عندهم أوطأ من الأرض."

وقوله : فإني لا ألومك في دخولي.

أي لا ألومك في تركي الإذن لي في الدخول ولكن أخبرني كنه أمره.

وقوله : ربيع الناس وشهر الحرام .

يريد أنه كالربيع في الخصب لمجدته وكالشهر الحرام لجاره لا يوصل إلى من أجاره كما لا يوصل في الشهر الحرام لأحد.

يقول النابغة : [1]

رأيتُكَ تَرعانـــي بعيـــنِ بَصيـرَةٍ وتَبـعَـــثُ حُرّاســـاً عليّ ونَـاظِـــرَا
فآلَيتُ لا آتيـكَ، إن جئتُ، مُجْرِماً، و لا أبتغي جاراً ، سـواكَ ، مجـــاورا
فـــأهْلـــي فِداءُ لامْرِىءٍ، إنْ أتَيتُهُ تَقَبّـلَ مَعرُوفـــي، وسَـــدّ المَفاقِـــرَا
أَلا أَبْلِغَـــا ذُبيانَ عَنّي رسـالـــةً فقدْ أصبْحتْ عن منَهجِ الحـقِّ جَائِرَةْ

ثالثا : الآخر المتجردة زوج النعمان :

كان النابغة المقرب من الملك النعمان مكانته الاجتماعية العالية في صفوف قومه ، يفك أسرهم ويحل مشاكلهم وامتد تقديره واحترامه حتى شمل الجزيرة العربية ، وأصبح أشعر الشعراء وأكثرهم شهرة وأقدرهم على الحكم بين الشعراء في عصرهم ، ولكن المؤامرات لم تتوقف على النابغة واستطاعت واحدة من المؤامرات أن تضع إسفينا في العلاقة بين النابغة والنعمان بن المنذر حتى أن غضب عليه وأباح دمه وهذه هي الحكاية .

في إحدى الليالي الساهرة وبفعل الخمرة التي وارت بالرؤوس وجعلت المستحيل ممكنا ، مرت المتجردة – زوجة النعمان – أمام الملك النعمان وندماءه وعلى ما يبدو لم تكن المتجردة تتوقع أن ترى النعمان وندماءه في ذلك الموقع من القصر ..... وسقط نصيفها والنصيف هو ما يغطي الرأس من الخمار وغيرة فقامت بتغطية وجهها بذراعها وكانت سمينة بحيث كانت ذراعها أن تغطي كامل وجهها .

(1)- ديوان: النابغة الذبياني ، ص 59 – 62
ترعاني : تحرسني وتحفظني / ألبت : أقسمت / مجرما : مذنبا / مفاقرا: أي أعناه وسد وجوه .

إن المرأة الجميلة في مقاييس ذلك الزمن لم تكن النحيفة ذات الوزن الخفيف بل كانت السمينة ذات الوزن الزائد .

كان مع النعمان بالإضافة إلى النابغة شاعر آخر وهو المنخل اليشكري بن عبيد بن عامر والذي تصفه المراجع بأنه مكن أجمل العرب بينما كان الملك النعمان ذميما قبيح الوجه ، وراجت إشاعات في ذلك الزمن أن المنخل كان محل إعجاب المتجردة زوج النعمان وأن علاقة قامت بينهما ، بل إن ابنتي النعمان من المتجردة كانا من المنخل .

المشهد الذي رآه النعمان من سقوط خمار زوجته أمام ضيوفه لم تصبه بالغضب ولكن على العكس تماما جعلته يضحك ويقول للنابغة : " والله يا أبا ثمامة ما حدث يستحق منك قصيدة" فضحك النابغة ووعد النعمان بأنه ينشده قصيدة المتجردة في الليلة التالية ..... وبعد أن عملت الخمرة عملها في رؤوس الندماء ، ألقى النابغة قصيدته المشهورة المتجردة.

يقول فيها : [1]

سَقَطَ النَصيفُ وَلَم تُرِد إِسقاطَهُ فَتَناوَلَتــهُ وَاِتَّقَتنــا بِاليَــدِ
بِمُخَضَّبٍ رَخصٍ كَأَنَّ بَنانَــهُ عَنَمٌ يَكــادُ مِنَ اللَطافَةِ يُعقَــدِ
نَظَرَت إِلَيكَ بِحاجَةٍ لَم تَقضِهــا نَظَرَ السَقيمِ إِلى وُجوهِ العُــوَّدِ
تَجلو بِقادِمَتَي حَمامَةِ أَيكَــةٍ بَرَداً أُسِفَّ لِثاتُــهُ بِالإِثمِــدِ
كَالأُقحُوانِ غَداةَ غِبَّ سَمائــهِ جَفَّت أَعاليــهِ وَأَسفَلُــهُ نَـدي

كانت القصيدة قمة في البلاغة والوصف ولذلك أنارت حسد اليشكري المتهم بعلاقته الآثمة مع المتجردة فوجد فرصة للنيل من النابغة وقال للنعمان في غياب النابغة [2]

-لا يستطيع أن يقول هذا الشعر إلا من جربه .

-ما تقوله يا منخل .جربه .

- نعم هذا الشعر لا يصدر عن خيال بل عن تجربة .

(1)-ديوان :النابغة الذبياني ،ص 40
النصيف : كل ما يغطي الرأس من خمار وغيره / البنان : الأصابع المخضوبة / العنم : نوع من الدود حمراء اللون تكون في البقل في الربيع ثم تنسلخ فتكون فراشة ، يريد أنها نظرت نظرة خائف مراقب أرادت الكلام فلم تستطع خشية الرقباء / تجلو : أي تكشف / القوادم : هو الريش المقدم في جناح الطائر ويكون شديد السواد / اللثات : مفرز الأسنان / الأقحوان : نوع من النباتات أطرافه بيضاء ووسطه أصفر السماء : هنا بمعنى الغيب ، غيب الشيء بعده.
(2)- شعراء النصرانية قبل الإسلام : د : لويس شيخو

وهكذا زرع اليشكري إسفينا الشك في فكر النعمان الذي صاح فجأة ليجد نفسه محاضرا بفكرة خيانة النابغة له ، تغير وجهه ولم يخف غضبه على النابغة.

وكان حاجب النعمان عصام بن شهير الجرمي قد أدرك بعد أن سمع المنخل يغز صدر النعمان على النابغة ، أن صديقه الحميم النابغة في خطر فدهب إليه وأبلغه بما حدث وأوصاه بعدم المجيء إلى مجلس النعمان بل ونصحه بالفرار إلى مكان آمن فالملك الآن في غضب شديد وإلى أن يكتشف الحقيقة والبراءة من الخيانة فعليه أن يضل بعيدا وهكذا أنقد عصام النابغة من الموت ..... بينما لقي المنخل اليشكري مصرعه على يد الملك عمرو بن هند الذي تغزل اليشكري بابنته هند وقال : " أحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري " . وصدق قول القائل : " من حفر حفرة لأخيه وقع فيها ".

وصورته التي رسم المتجردة وقد سقط نصيفها فعالجته بإحدى يديها وأسرعت بيدها الأخرى إلى وجهها وهذه الصورة لا تتعلق بالحركة فحسب وإنما تنطلق من تعبير نفسي للمرء ، وفزعها من الخجل واضطرابها عند لقائه فجأة فسقط النصيف تحجب عنه وجهها.

كل هذه عواطف واضحة نحسها ونلاحظ كثرة الألوان في البنية الأولى وإذا رغب في أن يكون الشاعر دقيقا في رسمه عندما صور نظرتها إليه بنظرة العالي المكتمل الذي قد اكتحلت عينيه وهي سوداء ، والذي هو أسمر البشرة في احمرار والذي يتقلد بقلادة تزين جيده إذ يقول : [1]

نَظَـرَت بِمُقلَـةِ شـادِنٍ مُتَـرَبِّـبٍ أَحــوى أَحَـمِّ المُقلَتَيـنِ مُقَلَّـــدِ

بصورة عند لقائه بها وعندما تشرق عليه .....بمحابها كأنها الشمس تخرج من برج الحمل وكأن ما هو الغواص الذي التقى فجأة بدرة صدفة فهو بهيج متهلل يرتفع صورته فيقول :

قامَت تَراءى بَينَ سَجفَي كِلَّـةٍ كَالشَمسِ يَومَ طُلوعِها بِالأَسعُدِ

أَو دُرَّةٍ صَدَفِيَّـــةٍ غَوّاصُـــــها بَهِجٌ مَتى يَرَها يُهِلَّ وَيَسجُـــدِ

(1)-ديوان: النابغة الذبياني ،ص39
المقلة : يعني كرة العين / شادن : ولد الضبي / المتربب : المحبوس في البيت / أحوى : الضباء
أحمى : أي شديد سواد المقلة / المقلد : هو الذي قلد الحلي وزين به

ثم صورها من صورة الحية لامرأة فاتنة المحاسن كما قال:[1]

أَمِن آلِ مَيَّةَ رائِحٌ أَو مُغتَـــدِ عَجلانَ ذا زادٍ وَغَيـــرَ مُـزَوَّدِ
أَفِدَ التَرَجُّلُ غَيرَ أَنَّ رِكابَنـــا لَمّا تَـزُل بِرِحالِنـا وَكَـأَن قَـــدِ
حانَ الرَحيلُ وَلَم تُوَدِّع مَـهدَداً وَالصُبحُ وَالإِمساءُ مِنها مَوعِـدي
في إِثرِ غانِيَةٍ رَمَتكَ بِسَهمِهـا فَأَصابَ قَلبَكَ غَيرَ أَن لَـم تُقصِـدِ

نلاحظ أن الشاعر يذكر أكثر من اسم لصاحبته وهي مية في بدأ القصيدة معددة بعد ذلك بأبيات وإن قيل أن هذه الأسماء لا تعني شيء وإنما هي رموز يرمز بها عن المتجردة ، فلماذا صرح في نهاية القصيدة ويذكر الهمام زوجها وأنه حدثه عن فمها العذب الشهي ،وأنه لم يدقه وإنما جاءته أبناءه عن الهمام والأبيات التي ورد فيها يذكر الهمام قد اقتضتها حاجة القصة في تبرئة النابغة آخر الأمر .

فحرص على وضع الجملة الاعتراضية في الأبيات الثلاث تؤكد للقارئ أن النابغة لم يدق فم المتجردة ،ولم يحسن عذوبته ولكن قد علم العذوبة عن الهمام .

حيث يقول: [2]

زَعَمَ الهُمـامُ بِـأَنَّ فاها بِـــارِدٌ عَـذبٌ مُقَبَّلُـــهُ شَهِـيُّ المَـــورِدِ
زَعَمَ الهُمــامُ وَلَم أَذُقـهُ أَنَّـــــهُ يُشفى بِرَيّا ريقِها العَطِشُ الصَدي
حانَ الرَحيـــلُ وَلَم تُوَدِّع مَهدَداً وَالصُبحُ وَالإِمساءُ مِنــها مَوعِدي
غَنيَـت بِذَلِكَ إِذ هُـمُ لَكَ جيـــرَةٌ مِنــها بِعَطــفِ رِســـالَــةٍ وَتَــوَدُّدِ

وإن صح أن النعمان لم يحدثه عن عذوبة فم زوجته وأن النابغة لفرص حبه للمتجردة قد تخيله متحدثا إليه بجمالها ،فإن هذا يتعارض مع روح النابغة وحرصه في علاقته بالملوك.

فيقول:[3]

حانَ الرَحيلُ وَلَم تُوَدِّع مَهدَداً وَالصُبحُ وَالإِمساءُ مِنها مَوعِدي

(1)-ديوان : النابغة الذبياني ، ص38
عجلان : من العجلة يريد أنه يخاطب نفسه / أرائح ك هو من آل مية أ متقدم /
الركاب : الإبل وهي مجمع مفرده راحلة إذا لا واحدة من لفظها /أوفد : بمعنى اقترب ودنى
حان :أقترب وحان مهدد اسم جارية / الغانية : الفتاة التي تستغني بجمالها عن الزينة
السهم : هنا بمعنى الحظ / تقصد : أي تقتل.
(2)-ديوان: النابغة الذبياني ، ص 85
الصدى : العطش الكثير
(3)-نفس المرجع : ص85

نفهم من هذا أنه لم يظفر بصاحبته بموعد واحد وإنما كانت متمنعة عليه ،وأنه كلما أراد أن يظفر بلقائها يروح عنه الصبح ويأتيه المساء وهو لا يظفر منها شيء ثم يأتي ببيت بعد هذا لا يخلو من التعقيد يحمل من العسر يستقر به معنى في الدهن ،يشرحه بعض الشارحين بأنها أقامت على مودته فهي جارة له وكانت تتودد إليه ويخيل أن البيت فعلا ناقصا أو كلمة يضيفها القارئ حتى يصل إلى المعنى الذي يريده الشارح حيت يقول :[1]

غَنيَت بِذَلِكَ إِذ هُمُ لَكَ جيرَةٌ مِنها بِعَطفِ رِسالَةٍ وَتَوَدُّدِ

والمعنى أنها غنيت بجمالها أو غنيت بما أصابتك من عينيها ففي جارة لك تظفر منها بعطف رسالة وتردد وإذا استقام المعنى على هذا الوضع يكون الاختلاف بين بعض صاحبتيه عنه وامتناءها عليه في البيت الأول وبين قربها منه وتوددها إليه في البيت الثاني وإذا وصلنا إلى نهاية القصيدة ، فإننا نجد نوعا من الدعارة والمجون ووصفا حسيا صريحا قد يكون فيه شيء من الجمال الفني في التصوير ومع ذلك لا ينبغي لأبله أن ينسبه لزوجة الملك هو في الوقت نفسه صديق له وولي لفضله ونعمته .

رابعا : الآخر الملك النعمان بن المنذر :

حقدوا على النابغة وتملكهم الحسد أو تملكتهم الرغبة في الانتقام وذاك لما كان النابغة عند النعمان من مكانة عالية فقد كان يأكل معه في أصافي الذهب والفضة ، فعمد النابغة إلى تكذيب قول الوشاة فيه ويقسم أنه لم يقل شيء مما بلغ إليه ، إلا أن تكون مقالة أقوام كأنها قرعت كبده لشدتها وقوة نفادها إلى نفسه وأن القول الذي أتى النعمان قول كذب ولم يكن ليقوله ، وهو قول ضعيف تافه مهلهل النسيج جاء من رجل حقود يستبطن للناس البغض والحقد ذلك في قوله : [2]

لعمري ، وما عمري عليّ بهينٍ ، لقد نطقتْ بطلاً عليّ الأقارعُ
أقارِعُ عَوْفٍ، لا أحاوِلُ غيرَها، وُجُوهُ قُرُودٍ، تَبتَغي منَ تجادِعُ

(1)-نفس المرجع : ص38
غنيت : حلت وأقامت
(2)- ديوان : النابغة الذبياني ، ص77
الأقارع : قوم من بني تميم ، وهم بنو قريع بن عوف
جادعة : أي شاتمة

نجد أن النعمان يلومه واللوم شيء هادئ لا يصل إلى الحد العنيف من الوعيد والقتل الذي توحي به قصة المتجردة في الأذهان ، وهو شيء آخر غير هذا هو لوم أشد قليل من العتاب وأن هذا اللوم يجهد النابغة ويشق عليه ويؤرقه ويغضب مضجعه كأن العائدات يبسطن له فراشا من الشوك الكبير ، فاللوم قد أمرضه والعائدات الزائرات لا يخففن ألمه ، وإنما تزدنه هما وتسهيدا ، ثم تراه محاولا تبرئة نفسه مكذبا ما يشاع عنه من الخيانة والغدر معترفا بأن لشاعر أماكن من الأرض له حق ارتيادها في أمن وثقة وله حق الإقبال والإدبار فيها وأنه يستطيع أن يجد لدى الملوك سما وحبا وذلك لفته هؤلاء الملوك به فهم ملوك وإخوان وهو قد يعود أن يتصل بهم اتصال الصداقة وما يستوجبه من ثقة وأخوة تجعله يتحكم في أموالهم ويتقرب منهم ورناد أراضيهم وليس في صلة بهؤلاء الملوك ما يستوجب آلية غضب النعمان وسخطه كما لا ينبغي أن يعتبر هذه الصلة خيانة ، فإنما ينبغي أن يعتبرها محافظة عن الصداقة والتزاما بها وواجبا ، وهو لم يكن يستطيع أن يقابل عطف أصدقائه وتوددهم إليه إلا بهذا الشك الذي أغضب النعمان .

أصبحت نفس النابغة تؤرقه و تمزق جسمه ،فكان ما يشير به القوم نحوه من أقوال بمثابة الضرب على الكبد في قوله :[1]

إلاّ مقـالةَ أقـوامٍ شقيـتُ بهـا كانَتْ مقَالَتُهُمْ قَرْعاً على الكَبِـدِ

كما أن النابغة صور صورة جميلة رائعة حين ترآى له وعيد أبي قابوس بزئير الأسد في قوله :[2]

أُنْبِئْتُ أنَّ أبا قـابـوسَ أوْعَدَنـي ولا قَـرارَ عـلـى زَأْرٍ مـنَ الأسَـدِ
مَـهْلاً فِداءٌ لـك الأقـوامِ كُـلّـهُـمُ ومـا أُثَـمِّـرُ مـن مـالٍ ومـنْ وَلَـدِ
لا تَـقْـذِفْـنـي بِـرُكْـنٍ لا كَـفـاءَ لـهُ وإنْ تَـأثَّـفَـكَ الأعداءُ بـالـرَّفَـدِ
فـمـا الـفُراتُ إذا هَـبَّ الـرِّياحُ لـهُ تَـرمي أواذيُّـهُ الـعـبْـرَينِ بـالـزَّبَـدِ
يَـمُـدُّهُ كلُّ وادٍ مُـتْـرَعٍ لَـجِـبٍ فـيـهِ رِكامٌ مـن اليَـنْبوتِ والـخَـضَـدِ
يـظَـلُّ مِـن خَـوفِهِ المَلاَّحُ مُعتَصِمًا بـالـخَـيْـزرانَـةِ بَـعـدَ الأيْـنِ والـنَّـجَـدِ
يومـاً، بـأجوَدَ منـه سَيْبَ نافِلَـةٍ، ولا يَحُـولُ عَطـاءُ اليـومِ دونَ غَـدِ
هذا الثّنـاءُ، فإن تَسمَـعْ به حَسَناً، فلم أُعرّض، أبَيتَ اللّـعنَ، بالصَّفَـدِ
هـا إنَّ ذي عِـذرَةٌ إلاَّ تكُـنْ نَـفَـعَـتْ فـإنَّ صـاحـبَـهـا مُـشـاركُ الـنَّـكَـدِ

(1)-ديوان : النابغة الذبياني ،ص36
القرع : الضرب
(2)- ديوان : النابغة الذبياني ،ص37
أبا قابوس : كنية النعمان / أثمر : أي أجمع وأخضر / الكفاء : أي المكافئ والند والتنظير / العبرين : أي الناحيين /الزبد: هو ما يطرحه الوادي إذا جاش ماءه و للبيت رواية بلفظ ترمي الوادي العبرين بالزبادي
متزع: أي مملوء / الركام : هو الحطام المتراكم بعضه فوق بعض
الخضد:كل ما تكسر من الشجر ونحوه/ الأين : القدرة والأعباء
النجد: الكرب والعرق /السيب : العطاء والجود / الناقلة : الفضل والزيادة
الصفد : العطاء / العذرة: أي معذرة إليك وتبرئة مما وشيت به / النكد : قلة الجد والخير والعسر .

وهي صورة تنتهي لتحمل قرع النابغة فهو لا يقر له قرار و لا تهدأ له نفسه بل يظل مشتت الفكر حائر الضمير يتهدده الأسد بزئيره التقى المطلق "و لا قرار " قد أشاع هذا الفزع المفزع ،ثم يستمهله و يستأني بطشه و قوته في الدعاء الفداء ،فهو يستكثر زئيره و يستكبر غضبه و إنه ليفد به بأقوام غضبه و افتداء زئيره "و ما أثمر " ،هنا موحية بالجمع و الإنتاج في وفرة ، و هو يدعوه مرة أخرى ألا يقذف به هذا القذف لا يطيقه و لا يقوم له أحد ، و بين شدة الكف عنه و ألا يطيع فيه هؤلاء الأعداء الدين يحيطون به متعاونين كأنهم حوله كالأثافي ،ثم ينتقل إلى تصويره فهو الجواد الهمام الشهم الذي جاوز عطاءه هذا الدهر العظيم الذي يطرح الزبد إدا جاش ماءه و اضطربت أمواجه ،فهو ملئ يجب فيه الحطام المتكاثف و الشجر الملتف ، و يظل صاحب السفينة من الأين و الأعباء و من العرق و الكرب معتصما بذنب السفينة لشدة جياشة و فورانه و إن هذا الفرات العميم فيض يتخاذل فيضه و يتوانى إلى الجوار . عطاء النعمان و تسيب ناقلته الذي لا ينقطع و لا يمتنع ، و أشهد أن النابغة قد وفق في المبالغة التي لم تكن صراخا فحسب و إنما كانت صراخا بين الفن و التأثير ، و بعد ما اطلع النعمان على ما بين زوجته المتجردة و المنخل اليشكري من علاقة فقتلهما ثم كتب إلى النابغة يقول :" إنك لم تعتذر من سخطه ،و إذا كانت بلغتك و كنا تغيرنا لك عن شيء مما كنا لك عليه و لقد كان قومك ممتنع و حصن فتركته ، ثم انطلقت إلى قوم قتلوا جدي و بيني بينهم ما قد علمت ".

و حدث حسان بن ثابت أن النابغة قدم في جوار رجلين من قرارة لهما عند النعمان فرأى إحدى قيان الملك فلقتها قصيدته التي اعتذر إليه فيها حيث يقول :[1]

يا دارَ مَيّةَ بالعَلْيَاءِ، فالسَّنَدِ أقْوَتْ، وطالَ عليها سالفُ الأبَدِ

(1)-ديوان : النابغة الذبياني ، ص32
مية : اسم امرأة / العلياء : كل ما ارتفع من الأرض
السند : ارتفاع الجبل أيضا / الفرات : خلت من النالس
السالف : الماضي من كل شيء /الأبد: الدهر.

فشرب النعمان ،و لما سكر غنت فيها ،فطرب و قال :"هذا شعر علوي ،هذا شعر أبي ثمامة". و رضا عنه و لا يستقرب أن يطلب الشفاعة برجلين من قرارة ،و هو يعلم ما لبني ذبيان من الخطوة عند الملوك العراق فقدم إليه فوجده محمول على سرير ينقل ما بين الحيرة و الغمر[1] فخاطب حاجبه عصام بن شهير أو شهيرة بأبيات يقول فيها :[2]

ألم أُقْسمْ عليكَ لَتُخْبِرَنِّي أَمَحْمُولٌ على النَّعشِ الهُمَامُ

يذكر هنا همه للنعمان مريض و يرثيه كأنه يتوقع موته ، و الظاهر أنه قال قبل أن يأتي الحيرة لأنه يحلف فيها ألا يرجع إليه محرما و لكنه لا يقطع الأمل من جوده ،و يصف بسطة سلطانه كعادته فيقول إنه سمتك لسانه عنه و إن كان بعيدا ممنوعا خائفا من أن يعاد إليه نع نسوته ، ثم يرسل إليه التحية مشفوعة بالدعاء .

(1)-الغمر :موضع ،قال أبو عبدة :كان الملك إذا مرض حملته الرجال على أكتافها و يتولون أنه أوطأ من الأرض أي أسهل و أكثر راحة .

(2)-ديوان : النابغة الذبياني ، ص108.

خاتمة

قد اهتدى بحثنا هذا إلى جملة من النتائج نوجزها في النقاط التالية :

* بين المدخل أهمية الآخر و طبيعة العلاقة مع الأنا ،فالآخر قد يكون شخصا أي أن الذات قد تكون آخرا، و بين لنا أيضا أن الذات من خلال الآخر تجد نفسها و تحقق وجودها .

* أما حصيلة ما خرج به الفصل الأول بمباحثه الثلاثة ، أن سبيل الأنا لإثبات نفسها ووجودها يكون بالالتحام و الانضواء تحت راية الآخر فيبدو وجودها منقوصا إنما وجودها الحقيقي متجدر و متصل بالآخر ،و هو ضعيف و مستسلم حيا لها .

* أما الفصل الثاني فقد تبين لنا من خلاله أن العلاقة مع الآخر (الإنساني) تختلف بحسب طبيعة الآخر نفسه ، فالممدوح هو غير المهجو تستشعر الأنا إزاءه بالخضوع و الضعف و ذلك من خلال العلاقة بين النابغة الذبياني و الآخر و بخاصة النعمان بن المنذر.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم :

- **أولا – المصادر :**

1- أدباء العرب في الجاهلية و صدر الاسلام : لطرش البستاني، دار هارون عبود، ص .18

2- أشكال الصراع في القصيدة العربية : عبد الله التطاوي، الجزء الأول عي العصر الجاهلي، مطبعة أبناء وهبة حسان، ص 147.

3- الأدب الجاهلي قضايا و فنون و نصون : عبد الجليل يوسف، الطبعة الأولى، سنة 2421 هـ - 2001 م، مؤسسة المختار للنشر و التوزيع ، القاهرة. ص 246

4- الأدب الجاهلي قضاياه- أغراضه – أعلامه : الدكتور غازي طليمات و الأستاذ عرفان الأشقر، الطبعة الأولى، سنة شعبان 1412 هـ - شباط 1992م ، دار الإرشاد جحم، ص 267.

5- الأدب العربي و تاريخه في العصر الجاهلي : تأليف محمد هيثم عطية، الطبعة الثانية، ص 154.

6- الأغاني : لأبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، تحقيق الدكتور إحسان عباس و دكتور ابراهيم السعافين و الدكتور بكر عباس، المجلد الحادي عشر، الطبعة الأولى، سنة 1423 هـ - 2002 م ، و الثانية 1423 هـ - 2005 م و الثالثة 1429 هـ - 2008 م ، دار صادر – بيروت. ص5

7- الإنسان في الشعر الجاهلي : عبد الفني أحمد زيتوني، الطبعة الأولى، سنة 1421 هـ - 2001 م.

8- البيان و التبيين : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون الخانجي، القاهرة، الجزء الأول، ص 227.

9- الثنائيات الضدية : دراسات في الشعر العربي القديم سمر الديوب، منشورات، الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، سنة 2009. ص 16.

10- الحياة الأدبية في العصر الجاهلي : محمد عبد المنعم خفاقي، الطبعة الأولي، سنة 1412 هـ - 1992 م ، دار الجيل، بيروت. ص 328.

11- الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية، سنة 1384 هـ - 1965 م ، الجزء 2 ، ص 96 مطبعة الجلي، مصر

12- الشعر الجاهلي نشأته – فنونه – صفاته : فؤاد أفرام البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، سنة 1937م.

13- الشعر و الشعراء : لابن قتيبة، تحقيق و شرح أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية ، دار المعارف، سنة 1119، كورنيش النيل، القاهرة، الجزء الأول، ص 157 و الجزء الثاني ص 404، ص63.

14- الصورة الشعرية : سيسل دي لويس، ترجمة د/أحمد نصيف الجتاني- مالك ميرني- سليمان حسن- ابراهيم ، مراجعة عناء غذوان اسماعيل.ص17

15- العصر الجاهلي : شوقي ضيف، الطبعة الحادية عشرة، دار المعارف، ص266.

16- العمدة في محاسن الشعر و أدبه و نقده : أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، سنة 395-356 هـ ، حققه و فصله و علق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، سنة 1401 هـ - 1981 م ، الجبل للنشر و التوزيع و الطباعة، بيروت، لبنان، الجزء 1 ص 96، و 2 ص 96 و 3 ص 177.

17- الغربة في الشعر الجاهلي : عبد الخشروم، منشورات أنحاء الكتاب، العرب، دمشق، 1982 م.

18- المؤتلف و المختلف في أسماء الشعراء و كناهم و ألقابهم و أنسابهم و بعض شعرهم : للإمام أبي القاسم الجن ابن بشير الأمدي ، صححه و علق علية، الأشياء ن.كرنكر، الطبعة الأولى، سنة 1411 هـ - 1991 م ، دار الجيل بيروت. ص 252

19- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء : عبد الله محمد بن عمران ابن موسى المرزباني المتوفي سنة 314 هـ تحقيق محمد حسين شمس الدين، الطبعة الأولى سنة 1415 هـ - 1995 م ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ص 51.

20- النابغة الذبياني : ديوان، تحقيق و شرح حمد و طماس، الطبعة الثانية، سنة 1423 هـ - 2005 م ، دار المعارف، بيروت، لبنان.

21- النابغة الذبياني مع دراسة للقصيدة العربية في الجاهلية : الدكتور محمد زكي العشماوي، الطبعة الأولى، دار الشروق، سنة 1415 هـ - 1994م ، ص76.

22- جماليات التحليل الثقافي الشعر الجاهلي نموذجا د/يوسف عليمات، الطبعة الأولى، سنة 2004 ، ص 312.

23- شعراء النصرانية قبل الإسلام : جمعه و نسخه لويس شيخو، الطبعة الرابعة، سنة 1991، دار المشرق، ص 600.

24- طبقات الشعراء : لمحمد بن سلام الجمحي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 14.

25- فحولة الشعراء : للأصمعي، تحقيق المستشرق س توري، الطبعة الثانية، دار الكتاب الجديد، بيروت، سنة 1400 هـ - 1980 م ، ص 52.

26- في الفكر الديني الجاهلي : محمد ابراهيم الفينومي، الطبعة الرابعة، دار المعارف، ص38.

27- مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي : حسين عطوان، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ص 120.

- **ثانيا – حوليات و مذكرات :**

1- الآخر في الشعر الجاهلي : لطالبة مي عودة أحمد إشراف الأستاذ احسان الديك، أطروحة ماجستر في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين سنة 2006.

2- الآخر في شعر المتنبي : رولا خالد محمد غام، إشراف د. عبد الخالق عيسى، أطروحة ماجستر في اللغة، كلية الدراسات في جامعة النجاح الوطنية في فلسطين، نوقشت في 97 ص /2010 م.
3- الأنا و الآخر في المعلقات العشر : لسعد سامي محمد بإشراف أ.م.د. جنان محمد عبد الجليل رسالة ماجستر في اللغة العربية و أدابها، كلية الأداب في جامعة البصرة سنة 1433 هـ - 2012 م.
4- الذات و الآخر في روميات أبي فراس الحمداني : لطالبة نوال براك، إشراف الأستاذ محمد عناية لنيل رسالة الماجستر، قسم الأدب و بلاغة و نقد بجامعة أم القرى سنة 1432.
5- جدلية الذات و الآخر في شعر سجون العصرين الأموي و العباسي (دراسة فنية) : لرائد حميد مجيد البطاط بإشراف دكتورين مزهر عبد المروان السوداني و أحمد حباوي السعيد. جزء من متطلبات نيل شهادة دكتراه فلسفة في اللغة العربية/ أدب سنة 1432 هـ - 2011 م بكلية الأدب في جامعة البصرة.
6- جماليات الأنا في الشعر المغربي القديم في القرنين الخامس و السادس للهجرة، لطالب رضوان جندي، إشراف الأستاذ العيد جلولي، أطروحة.
7- صورة الخوف في اعتذاريات النابغة الذبياني لدكتور سلامة عبد الله السويدي، مجلة النشر العلمي، جامعة الكويت، الحولية السادسة و العشرون، الرسالة الخامسة و الثلاثون بعد المئتين، سنة 1426 هـ - 2005 م.
8- غرض الاعتذار في الشعر العربي القديم : رائية النابغة الذبياني – نموذجا ليوسف لطرش تحت إشراف الأستاذ ابراهيم لقمان، موضوع بحث بالمركز الجامعي لميلة، سنة 1434-1435 هـ / 2013م – 2014م
9- ماجستر في اللغة .ع تخصص أدب مغربي و أندلسي سنة 2013 جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

10- مختار الصحاح : لمحمد أبي بكر عبد الرحمان الرازي، طبعة جديدة، محققة و مشكولة، المكتبة العصرية، دار النموذجية، صيدا، بيروت، سنة 1423 هـ - 2013 م ، ص 180.

11- بنية الصورة الشعرية عند أبي تمام: لهبة غيطي تحت إشراف الدكتور الريعي بن سلامة، موضوع بحث جامعة منتوري، قسنطينة، سنة 2008-2009.

- **ثالثا : المعاجم :**

1- المعجم الفلسفي : بالألفاظ العربية و الفرنسية و الإنجليزية و اللاتينية لدكتور : جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان ، مكتبة المدرسة.

2- معجم الشعراء الجاهليين: لعزيزة نوال ، الطبعة الأولى، سنة 1998، دار صادر للطباعة، بيروت، لبنان، ص 356.

3- موسوعة شعراء العصر الجاهلي لعبد عون الروضان، الطبعة الأولى، سنة 2001، دار أسامة للنشر و التوزيع الأردن، ص 318.

الفهرس

موضوعات الفهرس :

*** مقدمة**

*** مدخل : مفاهيم اصطلاحية**

أولا: مفهوم الصورة 10

ثانيا : مفهوم الذات 12

ثالثا: مفهوم الآخر 14

رابعا: مفهوم الاعتذار وسياقه 17

خامسا : لمحة تاريخية عن حياة النابغة الذبياني 19

***الفصل الأول : صورة الذات في اعتذريات النابغة الذبياني**

المبحث الأول : الذات الحائرة 23

المبحث الثاني : الذات الخائفة 27

المبحث الثالث : الذات الأمل 30

***الفصل الثاني : صورة الآخر في اعتذاريات النابغة الذبياني**

المبحث الأول : الآخر " عمرو بن الحارث الغساني "..... 34

المبحث الثاني : الآخر "الحاجب عصام بن شهير "..... 38

المبحث الثالث: الآخر "المتجردة زوجة النعمان "..... 39

المبحث الرابع : الآخر "الملك النعمان بن المنذر "..... 43

*** خاتمة 48**

*** المصادر والمراجع 50**

*** الفهرس**